

انتشارات دانشگاه تهران

۶۹۵

رسالة

شكوى الغريب

لابى المعالى عبدالله بن محمّد بن علىّ بن الحسن بن على

الميانجى الهمذانى

الملقّب بعين القضاة

۴۹۲-۵۲۵ هجرى

قدم له و حقق متنه

عفيف عُسيران

مطبعة جامعة تهران



انتشارات دانشگاه تهران

٦٩٥

رسالة

شكوى الغريب

لابى المعالى عبدالله بن محمّد بن علىّ بن الحسن بن على

الميانجى الهمذانى

الملقّب بعين القضاة

٤٩٢-٥٢٥ هجرى

قدم له و حقق متنه

عفيف عُسيران

مقدمة المصحح

شكوى الغريب رسالة كتبها عين‌القضاة فى سجن بغداد سنة ٥٢٥، وذلك بضعة اشهر قبل موته، يشكو فيها صروف الزمان ومحنه ويدافع بها عن نفسه ضد العلماء الذين اتهموه بالزندقة والكفر. لقد نشر الاستاذ محمد عبدالجليل هذه الرسالة سنة ١٩٣٠ فى المجلة الاسيوية[1] لاول مرة عن مخطوطة برلين رقم ٢٠٧٦. ثم عثرنا مؤخراً فى مكتبة السيد ملك فى طهران على مجموعة خطية من الرسائل بينها منتخبات من رسالة شكوى الغريب. إنّ تعذر الحصول على المجلة المذكورة وعثورنا على مخطوطة ثانية لشكوى الغريب واهتمامنا مدة ثلاث سنوات بعين‌القضاة وآثاره العربية والفارسية وتشجيع مدير مطبعة جامعة طهران لنشر مصنفات الهمذانى، اقول ان كل هذه العوامل حدت بنا الى ان نعيد تصحيح رسالة الشكوى وننشرها من جديد. واعتمدنا فى الطبعة الجديدة على مخطوطة برلين رقم ٢٠٧٦ ورمزنا اليها بحرف B و على مخطوطة ملك رقم ٤٦٥٧ و رمزنا اليها بحرف M .

نكتفى فى مقدمة هذه الرسالة ان نعالج مسألة استشهاد عين‌القضاة الهمذانى ونعرض آراءه الصوفية التى استشهد من اجلها ومن اراد ان يطلع على ترجمة حياته وآثاره وان يتعرف على آرائه الفلسفية فليراجع مقدمتنا لكتابين من كتب عين‌القضاة: كتاب زبدة الحقائق باللغة العربية و كتاب التمهيدات باللغة الفارسية .

ان كتاب خريدة القصر وجريدة العصر لعمادالدين الاصفهانى اقدم سند تاريخى

---

[1] ـ Journal Asiatique mars 1930 Paris. p. 25-67

حفظ لنا ترجمة حياة الهمذانی وسطرلنا مأساة استشهاده وملابسات استباحة دمه. لقد عرف عماد الدين الاصفهانی عين القضاة عن كثب بواسطة عم له اسمه عزيزالدين المستوفی[1] وهو من كبار رجالات السلطان محمودبن محمدبن ملكشاه بن سلجوق ؛ كما ان عمادالدين قد شاهد فی مناسبات متعددة كرامات عين القضاة فاعجب بقداسته ، واطلع علی افكاره واشعاره فاعجب بعبقريته . وكذلك عاشر الاصفهانی رجالات قصر السلطنة وخبر دهاءهم ودسائسهم وخبر بصفة خاصة دسائس وزير السلطان محمود الوزير الطماع السفاك قوام الدين ناصر بن علی ابی القاسم الدر گزينی[2] ذاك الوزير الذی القی عين القضاة فی سجن بغداد ثم سعی فی اراقة دمه. اليك اولا ترجمة مقتضبة لحياة عين القضاة كما ذكرها عماد الاصفهانی فی كتاب تاريخ آل سلجوق : «وكذلك عين القضاة الميانجی كان من اكابر الائمة والاولياء ذوی الكرمات وقد خلف ابامحمد الغزالی فی المؤلفات الدينية والمصنفات فحسده جهال الزمان المتلبسون بزیّ العلماء وحضّهم الوزير ابو القاسم الدر گزينی عليه فقصدوه بالايذاء وافضی الامر به الی ان صلبه الوزير بهمذان ولم يراقب فيه الله ولا الايمان»[3] اليك الآن ترجمة حياة عين القضاة كما ذكرها عمادالدين الاصفهانی فی كتاب خريدة القصر وقد نقلنا هذا المتن عن صورة لمخطوطة اعارنا اياها الاستاذ جلال الدين محدث[4] : «عين القضاة الميانجی من اهل همذان ابو المعالی

١ـ ابونصر احمدبن حامدبن محمدبن عبدالله بن علی بن محمودبن هبة الدين الاصفهانی الملقب بعزيزالدين المستوفی وكان من المعجبين بعين القضاة ومن مريديه .

٢ـ اصل ابی القاسم من بلدة نساباد لكنه كان ينسب نفسه الی در گزين . وقدوصفه عمادالدين الاصفهانی فی كتابه تاريخ دولة آل سلجوق فقال : حل فی دست الملك ففتك وهتك واستباح الدماء وسفك وشرع المنكرات وانكر المشروعات وعادی الكرام وبدد النظام وظاهر الباطنية واظهر سنة الجاهلية وشرع الفتك بالاحرار والهتك للاستار» ص١٣٣ تاريخ آل سلجوق طبعة مصر ١٣١٨/١٩٠٠

٣ـ تاريخ آل سلجوق ص ١٣٧-١٣٨ .

٤ـ Bib. Aca. Lug. Bat. av. 21 f



لوحة «مينياتور» هندية فارسية من القرن الثانيعشر هجرى مجموعة

لندن كليشه Lemare

عبدالله بن ابى بكر محمد بن على بن الحسن بن على الميانجى الاصل الهمذانى الاهل . كان الصديق الصادق والموفى الوافى للصدر الشهيد عمى ـ رحمه الله ـ فلما نكب العم واستتر بدره التم ، تقلد الوزير الدر كزينى وزر عين القضاة فاعانه القضاء على قصده وحمله حسده على حصده . فانه كان من اعيان العلماء ومن يضرب به المثل فى الفضل والذكاء . ولم تشرق الغزالة بعد الغزالى على مثله فى فضله وجرى فى التصانيف العربية على رسله . وابدع معانيا فى الحقيقة وسلك فيها طريق اهل الطريقة وملك التصرف فى كلام التصوف وفاح عرف عرفه فى المعرفة والتعرف. وتشربت القلوب ماء قبوله وانتشر صيته فى حزون الارض وسهوله واتُخذ قصده منسكا واغتُنِمت زيارته تيمنا وتبركا . ولقد كان من اولياء الله الابدال بل بلغ درجة القطب عليه السلام وانارت كراماته انارة الشهب ؛ فحسده المشبهون باهل العلم ونسبوا الى ذكره كلمات فى مصنفاته لم يتصوروها بالفهم فالتقطوها وافردوها من تركيباتها وحملوها على ظواهرها فى عباراتها ولم يستفسروا منه معانيها ولم يأخذوا عنه مبانيها . وقبضه الوزير العلج وعجل فى ظلمه وجار فى حكمه وحمله مقيداً الى بغداد ليجد طريقاً فى استباحة دمه <ويأخذه> بجرمه . فلما اعيى عليه الحق اخذته العزة بالاثم الباطل واعاده الى همذان . وكان هو واعوانه فى امره كاليهود فى امر عيسى ... غير ان الله عصم نبيه من الكفار «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» وابلى وليه بالفجار . فتصلب ذلك الوزير الوازر فى صلبه ، واملى الله لهم وامهلهم ، وذلك ليلة الاربعاء السادس من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمس مائة . ولما قدم الى الخشبة المنتصبة عانقها وقرأ : «وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون» فما عبرت سنة على ذلك الوزير حتى صلب ومثّل به، وتبعه اعوانه فى عطبه :

من يسىء يوماً يسأ به   والدهر لايغترّ به

ولعين القضاة رسالة كتبها الى اخوانه بنى جنسه من حبسه يبكى فيها على نفسه وهى فى غاية الاستعطاف قد جمع فيها كل وصف من الاوصاف . وله رسائل فى كل وصف لايتصور معانيها الا الراسخون فى العلم الشامخون بقوة الفهم .

ومن شعره ماذكر ابوالحسن السمعى فى الوشاح :

• • •

تحملت فيك الحتف والنجم جامح وقد طويت منى على الهم اضلع

فما خدع العينين بعدك منظر ولا وطىء الاجفان بعدك ادمع

• • •

اقول لنفسى وهى طالبة العلى لك الله طلّابة للعلى نفسا

هناك مؤرخ آخر واسع الشهرة وهوالقاضى ابوسعيد محمد السمعانى مؤلف كتاب الانساب قدعاصر عين القضاة ايضاً وذكر فى كتاب الانساب ترجمة حياته لكن الكتاب المذكور لم يسلم من يدى البلى وما وصلنا منه الامختصر لعزالدين ابوالحسن على ابن الاثير الجزرى . لم يذكر الجزرى الاكلمة مقتضبة فى ترجمة ابى المعالى غير ان مورخى القرن السابع والثامن والتاسع قد ذكروا نقلا عن السمعانى ترجمة لحياة عين القضاة بشىء من التفصيل نثبت هنا اكثرها اسهابا وهو ما نقله العسقلانى : « وقد قال السمعانى الذى نقل ترجمة من كلامه باعترافه : عبدالله بن محمد بن الحسن بن على الميانجى ابوالمعالى بن ابى بكر من أهل همذان يعرف بعين القضاة احد فضلاء العصر يضرب به المثل فى الذكاء والفضل كان فيها فاضلا وشاعراً مفلقاً وكان يميل الى الصوفية ويحفظ كلامهم واشاراتهم مالا يدخل تحت الوصف • صنف فى فنون العلم وكان حسن الكلام وكان الناس يعتقدون فيه و يتبركون به . ظهر له القبول التام عند الخاص والعام وكان العزيز الأصفهانى الكاتب يعتقد فيه وكان لايخالفه فيما

يشيربه اليه . و كان ابوالقاسم الوزير يباين العزيز فلما هلك العزيز تعرض الوزير لعين القضاة فعمل عليه محضراً اخذ فيه خطوط جماعة من العلماء بإباحة دمه بسبب الفاظ التقطت من تصانيفه شنيعة ينبوعنها السمع ويحتاج الى مراجعة قائلها فيما اراد بها . فقبض عليه ابوالقاسم وحمله الى بغداد مقيدا ثم رده الى همذان فصلبه يرحمه الله ويكافى من ظلمه . ثم ساق السمعانى رسالة عين القضاة التى كتبها وهو فى السجن الى اخوانه يشكو حاله . ومنها :

اسجناً وقيداً واشتياقاً وغربة ونأىَ حبيب ان ذا لعظيم

ثم ختم ترجمته بانه صلب ظلما فى جمادى الاخرى سنة خمس وعشرين وخمس مائة . نسأل الله الحفظ من اطلاق القلم فيما ينطق بالدماء من غير بحث ، والمسارعة الى الفتوى بالقتل . قلت فتلخص انه انما قتل بغرض الوزير الذى تحامل لاجل مصادقته لعدوه والا لوقتل بسيف الشرع لنوظر واستتيب ، والعلم عندالله عزوجل»[١] .

من الثابت اذن ان عين القضاة قد صلب فى همذان ليلة الاربعاء فى السادس[٢] من جمادى الاخرة سنة خمس وعشرين وخمس مائة وذلك بايعاز من الوزير الدركزينى . وينقل العسقلانى عن السمعانى بان الوزير عمل محضرا على عين القضاة اخذ فيه خطوط جماعة من العلماء باباحة دمه بسبب الفاظ شنيعة التقطت من تصانيفه ينبوعنها السمع . من هم العلماء الذين وقعوا امضاءهم على فرمان اباحة دم عين القضاة ؟ وما هى تلك الالفاظ الشنيعة التى التقطت من مصنفات الهمذانى وكانت سببا لصلبه ؟ لم نهتد حتى الآن الى سند تاريخى يرمى لناضوءا على هذين السؤالين سوى رسالة شكوى الغريب تلك الرسالة التى كتبها عين القضاة فى سجن بغداد دفاعا عن نفسه .

١ــ ميزان العمل ج ٤ ص٤١٠ . ٢ــ اذا ما راجعنا تقويم F. Wüstenfeld وجدنا ان السادس من جمادى الاخرة سنة ٥٢٥ يقع ليلة الاربعاء .

لايذكر ابوالمعالى شيئا عن اسماء العلماء الذين افتوا باباحة دمه بل يكتفى بان يقول : «قدانكر على طائفة من علماء العصر، احسن الله توفيقهم وسهل الى خير الدارين طريقهم ونزع الغل من صدورهم وهيأ لهم رشداً فى امورهم ، كلمات مبثوثة فى رسالة عملتها منذ عشرين سنة»[١] . ولم يقتصر هؤلاء العلماء على مجرد استنكار آرائه بل نسبوا اليه « كل قبيحة وحملوا ارباب المناصب على ان فضحونى اشد فضيحة . . . وهذه سنة قديمة لله تعالى فى عباده اذ لم يزل الفاضل محسوداً وبانواع الاذايا من العوام والعلماء مقصودا»[٢] .

هل ناصر المتصوفة عين القضاة ودافعوا عنه ضد علماء الظاهر امانهم وقفوا موقف الشبلى المتفرج امام مقصلة الحلاج فى بغداد ؟ لم يتعجب ابوالمعالى كثيرا من مهاجمة علماء الظاهر له ولم يستبعد ما ادى الحسد بهؤلاء العلماء الى قساوة القلب وتحجر الضمير اذ« اهدروا حقوق العلم ... وسعوا بى الى السلطان واخترعوا على عظيم البهتان»[٣] لكنه تألم كثيراً من موقف اخوانه المتصوفين لانهم وقفوا تجاه ما اُلصق به من التهم موقف المتفرجين اذ «لم يقم بواجب حقى علماء الفرق ولاذووالمرقعات والخرق»[٤] .

اما فيما يتعلق بالالفاظ الشنيعة التى انكرها عليه العلماء فنرى أن عين القضاة يعرضها فى رسالة شكوى الغريب جملة جملة ثم يشرح ماقصد من تلك العبارات فيبيّن تعسف من انكروها عليه ويثبت بانه لم يحد فى كل ما كتب قيد شعرة عن تعاليم القرآن والسنة .

واذا ما دققنا فى هذه الالفاظ والجمل وجّدناها تتعلق بثلاث مسائل : مسألة النبوة ، مسألة الشيخ والمريد ، ومسألة اتحاد الخالق بالانسان المخلوق . سنحاول ان نعرض رأى عين القضاة فى كل من هذه المسائل ولن نكتفى بما يقوله لنا ابوالمعالى

١ــ الشكوى ص ٧ ؛ ٢ــ الشكوى ص ١١ ؛ ٣ــ الشكوى ص ٤٨ ؛
٤ــ الشكوى ص ٤٨ ؛

فی رسالة شکوی الغریب بل نستجلی آراءه من سائر آثاره .

١ـ مسألة النبوة

صرح عين القضاة فی کتابه زبدة الحقائق بان : «حاصل ما يدركه العقل من حقيقة النبوة يرجع الی اثبات وجود شیء للنبی بطريق جملی من غير ادراك شیء من حقيقة ذلك الشیء و ماهيته . وهذا الايمان بعيد جدا من الايمان الذی يحصل لصاحب الذوق بحقيقة النبوة . ويكاد يكون التصديق المستفاد من العلم بحقيقة النبوة شبيها بتصديق يحصل لمن لاذوق له فی الشعر بوجود شیء مجمل . فإنّ من لم يرزق ذوق الشعر قد يتمكن ايضاً من تحصيل اعتقاد ما ؛ بوجود شیء لصاحب الذوق ولكن يكون ذلك الاعتقاد بعيدا عن حقيقة الخاصيّة التی يختص بها صاحب الذوق»[1] فالايمان بحقيقة النبوة موقوف بنظر ابی المعالی علی ظهور طور وراء طور العقل ووراء طور الولاية «فما ظنك بمن يكذب بطور الولاية وهو الذی يظهر بعد العقل ولايظهر طور النبوة الا بعده ، وان صدق باللسان او اعتقد بالقلب انه مصدق بحقيقة النبوة فهو مخطیء ويكون مثاله فی اعتقاده هذا مثال الاكمه اذا اعتقد انه صدق بوجود اللون وادراك حقيقته حيث ادراك وجود المتلون بقوة اللمس ؛ و هيهات فذلك بعيد عن ادراك حقيقة اللون»[2] !

لقد انكر علماء عصره عليه هذا القول ظنا منهم بان من ادعی ان ادراك حقيقة النبوة موقوف علی طور وراء طور العقل سد علی الناس طريق الايمان بالنبوة اذ العقل هو الذی دل علی صدق الانبياء . غير ان ابا المعالی يرد عليهم فيقول : « لست ادعی ان الإيمان بالنبوة موقوف علی ظهور طور وراء العقل بل ادعی ان حقيقة النبوة عبارة عن طور وراء

١ـ الزبدة ص ٣و٤ . ٢ـ الزبدة ص٣١ ؛

طورالولاية وان الولاية عبارة عن طور وراء طورالعقل . . . وحقيقة الشيء غير وطريق الاعتراف غير . ويجوز ان يحصل للعاقل من طريق العقل تصديق طور لم يبلغه في نفسه بعد كما ان من حرم ذوق الشعر فقد يحصل له تصديق بوجود شيء لصاحب ذوق مع انه معترف بان لاخبر عنده من حقيقة ذلك الشيء »[1]

لم يتطرق عين القضاة في كتاب الزبدة الى مسألة الايمان بالنبوة فحسب بل يتطرق ايضاً الى القول في تفضيل النبوة على الولاية كما انه يؤكد لنا ، وخصوصاً في الشكوى بان النبي يشاهد امورالآخرة وان كل ما ذكره النبي في احوال الآخرة من « منكر ونكير وميزان وحوض وجنة ونار . . . ولذات وآلام . . . وجميع ماورد في القرآن ونطقت به الاخبار الصحاح فهوحق وصدق نؤمن به ايماناً لانتمارى فيه »[2]

ان رأى عين القضاة في النبوة كما عرضه في الزبدة وكما شرحه في الشكوى لايتعارض مطلقا مع تعاليم الاسلام غيران لابي المعالي رأيا آخر في النبوة بيّنه في كتاب التمهيدات حيث يقول صراحة بان الولاية ارفع منزلة من النبوة . يقابل الهمداني بين الولاية والنبوة ويعدد خصائص النبي بانه يصنع المعجزات ويشاهد امورالآخرة ويدرك عالم الغيب في المنام ثم يضيف قائلا : « ينعم الانبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ بهذه الخصائص الثلاث كما ينعم الاولياء اذ للاولياء كرامات وفتوح وواقعات . وتحصل لهم هذه الخصائص في ابتداء امرهم واذا ماتوقف الولي وصاحب السلوك عند هذه الخصائص وسكن اليها خيف عليه ان يسقط من القربة فتصير الكرامات والفتوح والواقعات حجابا له يمنعه من الوصول . يجب ان لايتوقف الولي عند هذه الخصائص الثلاث لان بُعدالقربة من الرسالة بعدالثريا من الثرى »[3] .

١ـ الشكوى ص ٩ ؛ ٢ـ الشكوى ص٤٥ـ٤٧ ؛ ٣ـ التمهيدات ص ٤٦ ؛

وليست الولاية طوراً من القربة الى الله ارفع منزلة من النبوة فحسب بل إنّ كل مايصفه النبي من احوال الاخرة ماهو الا تمثّل يساعد عامة الناس على الاهتمام بامور الغيب . فالنبى عند عين القضاة كماهو عندالفارابى وابن سينا رجل ملهم يعبر عن امور الآخرة بطريقة خيالية من شأنها ان تلبس حقائق الغيب الخفية صورة حسية تمكن العامة من فهمها والاقتناع بها .

واذا ما سألناهم عن ماهية امور الآخرة الحسية عارية من كل توهم وخيال قالوا لنا أن لاوجود لها لان الانسان هوروحه واذا ماتركت الروح الجسد فلايمكن ان تعرف قبراً وجنة وناراً و غيرذلك من الحالات الحسية . لنسمع عين القضاة ماذا يخبرنا عن حقيقة عذاب القبر : « اطلب القبر فى ذاتك . كان مصطفى ــ صلعم ــ يدعو كل يوم ويقول: اللهم انى اعوذبك من عذاب القبر . والحقيقة ان قبر الانسان جسمه ... اول ماينكشف للسالك من عالم الآخرة احوال القبر فيعلم ان ما وعد به الفاسقون من عذاب القبر كالثعبان والحيات والنار ماهو الا تمثل محض لان العذابات كلها فى داخل الانسان ... ولنقل كذلك فى منكر ونكير فهما فى داخل الانسان . . . رحم الله ابا على بن سينا لانه اظهر بجلاء عجيب هذا المعنى بكلمتين حيث قال : المنكر هوالعمل السىء والنكير هوالعمل الصالح ... واذا ما اردت من المصطفى شرحا اوفى عن عذاب القبر فاسمعه يقول: انما هى اعمالكم ترد اليكم . . . وكذلك ينبغى ان تفتش عن الصراط فى ذاتك . . . وكذلك ما الميزان الا العقل « حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا » ... وكذلك ينبغى ان تفتش عن الجنة والنار فى داخلك . . . ولقد صدق ذلك شيخنا حيث قال : العشق هوالطريق ورؤية المعشوق هوالجنة والفراق هوالنار والعذاب»[1] .

١ــ التمهيدات ص ٢٨٩ــ٢٩٢ ؛

إنّ فهم مسألة المعاد الجسمانى وبالتالى الاقرار بوجودٍ مادى للجنة والنار متوقف على فهم طبيعة الانسان . فاذا كان الانسان روحا لاغير وكانت علاقة الروح بالجسم امرا عرضيا كما ظن الفارابى وابن سينا وعين القضاة جاء القول بالمعاد الجسمانى خاليا من كل اساس ، واذا ما كان جسم الانسان جزءاً اساسيا من وجوده لا الجزء الاساسى ـ كما تشهد بذلك التجربة ويؤيده التفكير الصحيح ـ اصبح من الطبيعى ان لاتستقر روح الانسان المفارقة استقراراً كاملا الا اذا اعيد للروح رفيقها من جديد . ما هى طبيعة الجسم فى عالم الآخرة ؟ لايستطيع العقل البشرى ان يحكم بصورة ايجابية فى امور الآخرة لانها خارجة عن متناوله لكن العقل يحكم قطعاً باستحالة معاد اجسام من طبيعة اجسامنا الدنيوية ؛ واذا ماكان فى موقف بعض الفلاسفة الذين نفوا معاد الاجسام شىء من الصواب فهو نفيهم معاد الجسم بطبيعته الدنيوية . ونحن نرى ابن سينا فى آخر حياته قد عدل عن الجزم بنفى المعاد الجسمانى على العموم حيث يقول : «لِمَ لم يقبل النفس الكمال من المفارقات وما الذى يحصل له من الحس والبدن ؟ فان كان استعداداً ، فما القدر الذى يستعد به لقبول الكمالات الحقيقية بعد المفارقة ؟ ولِمَ لايجوز ان يحصل لها استعداد من استعمالها بعض الاجرام السماوية اوغيرها على ما يجوز من استعمالها قبل المفارقة ؟ يجب ان تعلم إنّا مقصرون عن ادراك براهين اللمّ فى هذه الاشياء بل اذا تأملنا الاحوال الموجودة ارتقينا منها الى كيفية الحال فى الاحوال التى قبلها . والذى نعلمه انها ليست بكاملة وليس وجودها وجود المفارقات يكفيها فى ان تكمل بل كأنها انما تستعد باحوال تحدث لها مع مباشرة الحس ؛ واما قدر هذا الاستعداد حتى تكمل به فلا اُحقه ولعله ان يفطن للمفارقات . واما انها هل يمكنها ان تكتسب هذا الاستعداد باستعمال جسم بعد البدن ؟ فاما جسم مثل البدن

فلا واما الجسم السماوى فامر لا أحقه ولا امنعه ولعله يتهيأ ذلك اذا اكتسب من البدن هيئة ما بها يتهيأ استعمال الجرم السماوى ولعله لايتهيأ ذلك . وبالجملة فانا نعلم ان للنفوس المفارقة احوالا لانقف عليها ويلازمنا الاحتياط فى دار الكسب وطلب ما يمكننا من الاستعداد»[1] .

٢ـ مسألة الشيخ والمريد

من اسباب تكفير عين القضاة واباحة دمه رأيه فى علاقة المريد بشيخه . وهو يذكر هذا السبب و يدافع عن نفسه فيقول : «ومما انكروه علىّ فصولا ذكرت فيها حاجت المريد الى شيخ يسلك به طريق الحق ويهديه المنهج القويم حتى لايضل عن سواء السبيل كما صح عن رسول الله ــ صلى الله عليه ــ انه قال : من مات بغير امام مات ميتة جاهلية ، وكما قال ابويزيد البسطامى : من لم يكن له استاذ فإمامه الشيطان ... وقد اجمع ارباب الحقيقة من اهل التصوف على ان من لاشيخ له فلا دين له . هذا هو مرادى من تلك الفصول[2] والخصم حمله على مذهب القائلين بالتعليم وفهم من ذلك القول بالامام المعصوم . وانى يستتب له هذا التعنت وقد اشتمل الفصل الثانى من تلك الرسالة < زبدة الحقائق > على اثبات وجود البارى ـ جل وعز ـ من طريق النظر العقلى والبرهان اليقينى ، ومعلوم ان التعليمىّ ينكر النظر العقلى ويزعم ان طريق معرفة الله ــ تعالى ــ هو النبى اوالامام المعصوم»[3] .

ولعين القضاة فى كتاب التمهيدات رأى يشبه هذا الرأى اذ يقول : « لما كان ارشاد السرائر وهداية القلوب امراً لا حد له ولاحصر، وجب ان يطلع الشيخ على كل شاردة وواردة من حياة المريد ؛ كما انه ينبغى ان يكون الشيخ طبيباً حاذقاً ليستطيع

١ــ المباحثات ص ١٩٧-١٩٨ وهو جزء من مجموعة متون نشرها الدكتور عبدالرحمن بدوى بعنوان ارسطو عندالعرب ج١ ؛ ٢ــ راجع الزبدة ص٧٢-٧٤ ؛ ٣ــ الشكوى ص١٠-١١؛

ان يعالج مرض مريده اذ لكل داء دواء ... ولما كان وجود الطبيب الحاذق امراً ضرورياً للمريد اجمع المشايخ ـقدس‌الله ارواحهم ـ بان الشيخ للمريد فريضة ولهذا قيل : « من لاشيخ له لادين له »[١] .

اذا دققنا فيما ذكره عين‌القضاة في كتب الزبدة والتمهيدات والشكوى عن اهمية الشيخ لارشاد المريد السالك لم نر في قوله ما يتعارض معارضة صريحة مع تعاليم‌الاسلام ؛ اما اذا تصفحنا مكاتيب ابي‌المعالي نراه لايكتفي بان يؤكد على‌ضرورة الشيخ للمريد السالك كما فعل في كتابي الزبدة والشكوى بل يطلب من المريد أن ينقاد لشيخه انقياداً اعمى ويسلم‌له تسليما مطلقا . كان عين‌القضاة يقضي كثيرا من‌وقته في ارشاد مريديه بالمراسلة وهاهو يكتب لاحدهم في اهمية التسليم للشيخ فيقول : «لاشرط لك الا ان تكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ... اعلم انه اذا ما صدقت ارادتك في طلب الحق قيّض‌الله لشيخك العلم اللازم ليكتب لك ما فيه صلاحك ... وانك لاتعرف حقاً ما فيه صلاحك ، فشغلك اذن التسليم ، هذه وظيفتك وليس لك وظيفة اخرى . لقد وهبك الله ذاتك فشغلك الأوحد التسليم . والتسليم طريق طويل اذا ماطويته ظهرلك جماله واذا ما تمكنت في التسليم بانت لك طريق المعشوق . التسليم المطلق نهج المريدين و ما تبقى فعلى الشيخ المرشد . . . لو ارادت النملة ان تذهب من همذان الى الكعبة لتعذر عليها الامر غاية التعذر لكنها اذا ما بذلت جهدها ووقفت على جناح حمامة اوباز فسرعان ما يوصلها الطائر الى الكعبة . لايترتب على النملة الا ان تجد لنفسها محلا على جناح الحمامة وما تبقى فليس من عملها »[٢] . ثم يؤكد عين‌القضاة على اهمية التسليم اذ هو ضروري

١ـ التمهيدات ص ١٠ ؛ ٢ـ مكتوبات T ص ٩٩ ؛

للاخلاص في العمل ؛ فالانسان إما ان يقوم باعماله وفقا لرغبته وميوله و اما ابتغاء مرضاة الله خالقه وحبيبه ، والشيخ في نظره الطريق الوحيد لعمل مرضاة الله : « تيقن بانك ان عملت عملا من تلقاء ذاتك فلا يمكنك ان تقوم به لوجه الله ؛ أما اذا لم تفعل شيئاً بمرادك بل نزولا عند امر شخص آخر حينئذ يكون عملك خالصا لوجه الله »[١]

طرح احد مريدي عين القضاة على شيخه السؤال التالي : الانعرف طاعةُ المريد للشيخ حدا ؟ هل يترتب على المريد ان يطيع شيخه طاعة عمياء ؟ فاجابه : « ميزة المريد الصوفي الاساسية هو ان لايتبع طريق الله بل ان ينهج طريق شيخه واذا ما استقام في سلوك طريق شيخه اوصله الله الى ما اوصل اليه شيخه بدون عناء »[٢] ثم يوضح عين القضاة رأيه لمريده في رسالة اخرى فيقول : « اعلم ان الارادة عند الصوفية ان يضحي المريد ذاته لشيخه فيجب اولا ان يضحي دينه ثم يضحي ذاته . اتدرى ما معنى ان يضحي المريد دينه لشيخه ؟ المقصود هو اذا ما طلب الشيخ من مريده امراً يخالف دينه فما على المريد الا النزول عند امر شيخه ، لانه اذا لم يوافق المريد شيخه حتى في مخالفة دينه فهو لايزال مريدا لدينه الذى اختاره لامريدا لشيخه . . . اذا سلك المريد طريق شيخه كان مريدا حقاً اما اذا سلك طريقاً اختطّه لنفسه فهو مريد نفسه لامريد شيخه »[٣] . « وقد يقول المريد لشيخه : انى مسلم وان الاسلام هو الصراط المستقيم الذى اذا ما سلكه العبد وصل الى الله ؛ يجب ان تبرهن لى اولا ان ما تأمرنى به يتفق مع نهج موسى ياعيسى يامحمد -عليهم السلام- لانني لا اسلك طريقاً قبل ان اتيقن من صحته . لاشك ان مريدا يخطر بباله مثل هذه الخطرات لايصلح للحياة الصوفية ، ولو كان اهلا لها لما استولت عليه هذه

١- مكتوبات T ص ١٣٨ ؛ ٢- مكتوبات T ص ٢١٣ ؛
٣- مكتوبات T ص ٢٥٠ ؛

الخواطر . . . ان اول شرط للوصول الى الله التصديق باهمية تضحية الارادة الشخصية .. والشرط الثانى انتخاب شيخ ما والتسليم له »[١] .

واذا ما سلم المريد ذاته لشيخه هذا التسليم المطلق كان من الطبيعى : « ان تتساوى المذاهب كلها فى نظر المريد ؛ فاذا ما وجد فرق بين الكفر والاسلام جاءت معرفة هذا الفرق سدا يحول بينه وبين الطلب الصادق ، الامر الذى يمنع المريد من الوصول الى مطلوبه . . . كل من يزعم بان طريق اليهود هى الطريق القويم الموصل الى الله ، اوأنّ طريق المسيحين هى الطريق المستقيم لايحسب مريدا . وكذلك ينبغى على المريد ان لايجزم بان طريق المسلمين هى الطريق القويم فالطالب المريد لايدرى ايهما احسن : مذهب الكفار ام مذهب المسلمين لانه ان علِم وفرّق بينهما لم يكن طالباً يرغب الوصول الى الله . واذا اهمل التمييز بين الاديان فكيف يخطر بباله ان الاسلام خير من الكفر ؟ عزيزى اول خطوة ينبغى على طلاب الحق ان يخطوها هو ان يطرحوا جانبا ما اعتادوا عليه من المذاهب الموروثه حتى يصدق فيهم قول الشاعر :

بالقادسية فتنة ما ان يرون العار عارا

لامسلمين ولامجوس ولايهود ولانصارى

بحق الجلالة الازلية ! ان كل مريد طالب يفرق بين مذهب ومذهب ، حتى ولو كان المذهب مذهب الكفار اومذهب المسلمين ، ماخطى بعد خطوة مخلصة فى سبيل الله »[٢] .

لقد بالغ عين القضاة فى اعلاء قيمة الطاعة للتقرب الى الله فعزل العقل عزلا تاما من دائرة الحياة الروحية . والحقيقة ان فصل الارادة فى الانسان عن العقل هدم للارادة

١ــ مكتوبات T ص ١٢٩ ؛ ٢ــ مكتوبات T ص ٢٨ ؛

ذاتها لانها تصبح انقيادا اعمى ويضحى الانسان عبدا للاهواء والشهوات . لابد للارادة من اتباع نورالعقل لان العقل وحده يميز بين‌الحق والباطل وكل ما عليها ان‌تقوم‌به هوان تريد الحق والخير باخلاص وتتحرر من التعصب مخلصة في‌البحث عن‌الحق ؛ ثم عليها ان تنفذ ما رآه العقل حقاً وخيراً وان تعمل بما علّمها العقل . لقد اخطأ ابوالمعالي حينما قال بالتسليم المطلق للشيخ غير ان خطأه هذا ان دل على‌شيء فهو يدل على وعيه من خطر جسيم يعترض الانسان فيمنعه من الوصول الى‌الله و هذا الخطر هوالانانية وتأليه الذات . والطاعة انجع دواء لشفاء مرض الانانية القتال فاذا ماسلّم المريد ارادته لشيخه سهل عليه ان ينتصر على انانيته وغروره .

لايصح للانسان ان يسلم ارادته تسليما مطلقا الا لله الذي هو مصدر كل وجود وحق وخير واذا ما اسلم المريد ارادته لانسانٍ مثله فلايحسن ان يطيع شيخه الاوفقا لشرطين اساسين :

اولا : ان لايطلب الشيخ من المريد اموراً تتعارض مع الاخلاق ومع ما يعتقده المريد حقاً وخيراً وخصوصاً ان لايعترض امر الشيخ مع ما اوحاه‌الله للبشر .

ثانياً : ان يكون الشيخ وسيطا حقيقيا ائتمنه الله على ارشاد الناس .

لقد اهمل عين‌القضاة الشرط الاول من شروطي التسليم للشيخ غيرانه اهتم في الشرط الثاني وحاول ان‌يدلل على‌ان الشيخ كالنبي في‌امته او كل‌الله اليه ارشاد الناس : « اذا ماقيل لمحمد : وانك لتهدي الى‌صراط مستقيم ؛ فقد قيل في‌حق الشيوخ : وممن خلقنا امة يهدون الى الحق وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا »[١] .

ان القول بضرورة تسليم المريد ذاته للشيخ تسليما مطلقا ادّى بعين‌القضاة الى

١- مكتوبات ص ١٢٩ ؛

نظرة خاصة فى معنى الكفر والايمان ، فهو يعتقد ان المذاهب المتعددة تعبيرات مختلفة لسر الالوهية المتعالى عن كل تعبير ، لذلك نسمعه يقول : « عزيزى اذا ما نظرت الى عيسى كما ينظر اليه النصارى فاحرى بك ان تصير مسيحيا . واذا ما نظرت الى موسى كما ينظر اليه اليهود فاحرى بك ان تصير يهوديا ؛ وحتى اذا نظرت الى الاصنام كما ينظر اليها المجوسى فاحرى بك ان تصيرمجوسيا . ان الاثنين والسبعين مذهبا ماهى الّا منازل مختلفة للطريق المؤدية الى الله »[١] .

لكن ذلك لايعنى ان المذاهب لا تختلف فيما بينها اختلافا اساسياً لان الموحدين «غير المجوس الذين يقولون بوجود الهين : اله النور واله الظلمة او اله الطاعة واله المعصية . . . وكذلك هم غير الملاحدة الذين يقولون بان الافلاك صانع العالم و العناصر قديمة . لقد حرمت هذه الافكار الخاطئة المجوس والملاحدة من معرفة الحقيقة»[٢] .

غير ان اختلاف المذاهب لايمنع الانسان من الوصول الى الله . فما على المريد الصادق الا ان يحب الله بجماع قلبه متناسياً ما بين الاديان والمذاهب من فروق لان «الكفر والايمان مقامان من وراء العرش حجابان بين الله و بين العبد ... على الانسان ان يكون لا كافراً ولا مسلماً لان الذى هو مع الكفر والايمان مازال ينظر الى الله من وراء هذين الحجابين ، اما السالك المنتهى فلا يرضى الا بحجاب كبرياء الله وذاته . اما سمعت ماذا يقول المصطفى ـ عليه السلام ـ : «لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل» ان هذا الحديث يوضح اسرار هذه المقامات الى ابد الابدين ودهر الداهرين »[٣] يترتب على المريد أن يتحرر من كل مذهب غير مذهب عشق الله «لان العشق يا عزيزى

١ـ التمهيدات ص ٢٨٥ ؛ ٢ـ التمهيدات ص ٣٠٥ ؛
٣ـ التمهيدات ص ١٢٢ و١٢٣ ؛

دين المريد ، وجمال المعشوق مذهبه . . . فمن عشق الله اصبح دينه لقاء جمال الله»[١]. ثم يكشف لنا عين القضاة عن سرتأكيده على ضرورة تسليم المريد ذاته للشيخ تسليما مطلقا . فهو يعتقد بان عشق الشيخ والتفانى فى طاعته ماهو الاخطوة نحو عشق الله والتفانى فى محبته لان : «عشق الله هو رأس مال الطالب السالك ولقد قال شيخنا : لا شيخ ابلغ من العشق ... وحينما سألت الشيخ : ما الدليل على الله؟ قال: دليله هو الله . ان فى هذه الكلمة بيانا بليغا : يعنى ان الشمس لاترى بالقنديل بل اننا نعرف الشمس بالشمس . وهذا هو معنى عرفت ربى بربى . اما انا فأقول : العشق دليل السالك الى معرفة الله ، وكل من اتخذ شيخا غير العشق فلايعد سالكا اذ لايتوصل العاشق الى المعشوق الا بالعشق؛ وانه ليرى المعشوق على قدر عشقه وكلما كان العشق اكمل زاد فى نظر العاشق جمال المعشوق»[٢] .

ما هو اصل اختلاف المذاهب فى نظر عين القضاة وما هى علة وجود الكفار والموحدين ؟ «خلق الله الانسان بدافع المحبة فانقسمت هذه المحبة الألهية قسمان : نصف اخذه بطل بينما اخذ الثانى بطل آخر . ولقد عبّر حسين منصور الحلاج عن حقيقة العشق الالهى فقال : «ما صحت الفتوة لاحد الا لاحمد ـ صلعم ـ ولابليس، انعم احمد بذرة من العشق على الموحدين فجاؤوا مؤمنين ، ووهب ابليس المجوس ذرة من العشق فجاؤوا كفرة يعبدون الاصنام . اما سمعت ما قال ذاك الشيخ الكبير : الجادة كثيرة ولكن الطريق واحد»[٣] ؟ وما الحكمة من خلق محمد وابليس ؟ ان محمداً وابليس اسمان من اسماء الله وصفتان من صفاته « الصفة الاولى : الرحمن الرحيم والصفة الثانية الجبار المتكبر . لقد اوجد الله ابليس من صفة الجبروت واوجد احمد من صفة الرحمة . فصفة الرحمة غذاء احمد وصفة القهر والغضب غذاء ابليس»[٤] . كيف يمكن ان يكون

---

١ ــ التمهيدات ص ٢٨٥ ؛ ٢ ــ التمهيدات ص ٢٨٣ و ٢٨٤ ؛

٣ ــ التمهيدات ص ٢٨٤ ؛ ٤ ــ التمهيدات ص ٢٢٧ ؛

ابليس صفة من صفات‌الله وهو الذى عصى‌الله يوم عرض عليه السجود لآدم واصبح فيما بعد رسول الشر والعصيان ؟

لنسمع عين‌القضاة يجيب عن‌هذا السؤال الخطيرفيقول : « يا حسرتاه ! لقد سمع جبريل وميكائيل وغيرهم من الملائكة فى عالم الغيب ان اسجدوا لآدم ، بينما قال‌الله لابليس فى عالم غيب الغيب لاتسجد لغيرى . . . قال الله لابليس اذن علانية : اسجد لغيرى ؛ بينما خاطبه سرا وامره ان يقول : أأسجد لمن خلقت طيناً »[1] ؟!

ان عصيان ابليس فى نظر الحلاج وعين‌القضاة امر اعتبارى ظاهرى لان ابليس فى‌الحقيقة مثال‌المؤمن المتفانى فى‌خدمة‌الله : فتمردالشيطان ماهو الا تمرد فى‌الظاهر لان‌ابليس فى‌الحقيقة مثال‌الموحد المطيع‌لله ؛ وعداوته لله ماهى‌الاخدعة يمثلها ابليس على اعين‌الخلق‌لانه فى‌الحقيقة مثال‌العاشق الصادق اذ قبل‌ان يلبس‌لباس العداوةلله بينما هو فى‌الحقيقة خليل‌الله الحميم . لنسمع ماذا يقول لنا عين‌القضاة عن عشق ابليس‌لله : « عزيزى انك لاتدرى ماذا يسمون فى‌العالم الإلهى ذلك‌العاشق المجنون الذى تدعوه فى‌الدنيا ابليس . اذا عرفت‌اسمه وناديته به عددت نفسك كافراً . الويل‌لى! ماذا تسمع؟ لقد هام هذا المجنون بحب‌الله . أترى ما كان محك محبته لله ؟ المحك الاول البلاء والقهر والمحك الثانى‌الملامة والمذلة . قيل‌له : اذا كنت تدعى محبتنا لزمك ان‌تقيم الدليل على صحة دعواك . ثم عرض عليه محك البلاء والقهر ومحك الملامة والمذلة فقبل : وفى الحال جاء هذان المحكان دليلا على عشقه الصادق »[2] .

لقد لمّح الشيخ احمدالغزالى الى‌قصةابليس فى كتاب‌السوانح[3] فذكرعشق‌ابليس‌لله

١ـ التمهيدات ص ٢٢٧ ؛ ٢ـ التمهيدات ص ٢٢١ ؛

٣ـ رسالة السوانح فى العشق ص ٣٨ و٣٩ طبع طهران ١٩٤٤ ؛

بكثيرمن الايجاز بينما نرى الحلاج يذكر القصة كاملة ويشرح مغزاها بالتفصيل[١] .
اتفق الحلاج وعين‌القضاة على القول بان محمداً وابليس صفتان من صفات‌الله : محمد

١ـ نثبت هنا اهم ماقاله الحلاج عن‌محمد وابليس نظراً لاهمية الموضوع : «ماصحت الدعاوى لاحد الا لابليس واحمد ــ صلعم ــ غيران ابليس سقط عن‌العين واحمد ــ صلعم ــ كشف‌له عن عين‌العين . قال لابليس : اسجد ، ولاحمد : انظر . هذا ماسجد واحمد مانظر ؛ ما التفت يمينا ولا شمالا «مازاغ البصر وما طغى» . . . وماكان فى اهل السماء موحد مثل ابليس ؛ حيث ابليس تغير عليه الغير وهجر الالحاظ فى السير وعبد المعبود على التجريد ولُعن حيث وصل الى‌التفريد ، وطُلب حين‌طالب‌بالمزيد . فقال‌له : اسجد ؛ قال : لاغير ؛ قال‌له : ان‌عليك لعنتى ؛ قال : لاغير .

مالى الى غير سبيل وانى محب ذليل

قال له : استكبرت ؛ فقال : لوكان لى معك لحظة لكان يليق فىّ التكبر والتجبر وأنا الذى عرفتك فى‌الازل . «أنا خيرمنه» لان لى‌قدمة فى‌الخدمة وليس فى‌الكونين اعرف منى‌بك ولى‌فيك‌ارادة ولك فى‌ارادة : ارادتك فىّ سابقة ان سجدت لغيرك ، فان لم‌اسجد فلابد لى من‌الرجوع الى‌الاصل‌لانك خلقتنى من‌النار والنار ترجع الى‌النار ولك التقدير والاختيار :

تيقنت ان القرب والبعد واحد وانى وان اهجرت فالهجر صاحب

التقى موسى ــ عم ــ وابليس على‌عتبة الطور فقال‌له : ياابليس مامنعك عن‌السجود ؟ فقال منعنى الدعوى‌بمعبود واحد ولوسجدت‌له لكنت مثلك‌فانك‌نوديت‌مرة واحدة «انظرالى‌الجبل»فنظرت، ونوديت انا الف‌مرة «ان‌اسجد» فماسجدت لدعواى بمعناى . فقال : تركت‌الامر ؛ قال : كان ذلك‌ابتلاء لاامرا فقال‌موسى: لاجرم قد غيرصورتك ... قال‌ابليس : ياموسى ذا وذا تلبيس ، والحال لايعول‌عليه فانه‌يحول؛ لكن‌المعرفة صحيحة كماكانت وماتغيرت وان‌الشخص قدتغير ؛ فقال‌موسى: الان‌تذكره ؟ فقال: ياموسى الفكرة لاتذكر، انا المذكور وهومذكور ، ذكره ذكرى وذكرى ذكره ؛ هل‌يكون الذاكرون‌الا معا؟ خدمتى‌الان اصفى‌ووقتى اخلى وذكرى اجلى لانى‌كنت اخدمه فى‌القدم لحظى‌والان اخدمه لحظه . . . مانعنى عن‌الاغيار لغيرتى ... هجرنى لمكاشفتى ، كشفنى‌لوصلى ... وحقه ما اخطأت فى‌التدبيرولا رددت التقدير ولاباليت بتغيير التصوير .. ان عذبنى بناره ابد الابد ما سجدت لاحد ولا أذل لشخص او جسد ولا اعرف ضدا ولا ولدا ، دعواى دعوى‌الصادقين وانا فى‌الحب من‌الصادقين» كتاب‌الطواسين ص٤١ـ٤٩؛

ثم‌يقص‌علينا الحلاج مناظرة جرت‌بينه وبين‌ابليس وفرعون يخلص منهابضرورة اقتدائه بالجبابرة المتمردين وباصراره على‌ادعاء الالوهية على‌مافى‌ذلك من كفرظاهر وعصيان‌مفضوح : «تناظرت مع‌ابليس

البقية فى الصفحة التالية

صفة الرحمة لانه صفة النور والهداية وابليس صفة الضلالة لانه صفة الظلمة والكفر والخذلان . ومن الطبيعي في هذه الحالة ان يصدق فيهما الحديث النبوي القائل : «بعثت داعياً وليس الي من الهداية شيء ، وخلق ابليس مضلا وليس اليه من الضلالة شيء»[١].

لقد اتفق الحلاج وعين القضاة على القول بان الشيطان في الحقيقة عاشق الالوهية الصادق وخادم الله الامين اما ما اخبر به الوحي عن ابليس على انه ملاك متمرد وعاص شرير وابو الغرور الحقد والبعض والرياء وكل ما هناك من الشرور فما ذلك في نظرهما الا تعبير مجازي . ولابد لنا هنا من ان نتساءل فنقول : ايليق بالله ان يوحي لنا معلومات خاطئة ويصور لنا الباطل حقاً ؟ اذا ما كان ابليس حبيب الله وخليله فكيف يصوره لنا الله على انه عدوه اللدود ؟ والحقيقة ان اعتبار الشر في ابليس امر مجازي ادى بعين القضاة وغيره الى القول بان الشر في الانسان ايضاً امرٌ اعتباري ومجازي لان كل ما يرتكبه البشر من الشرور من صنع الله اذ لافاعل في الحقيقة الا الله : « هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن . . . اواه ! السعيد من سعد من بطن امه . . . والشقي من شقي من بطن امه . لذلك كانت افعال الخلق على قسمين : قسم بسبب القربة من الله وقسم بسبب البعد ... ان الله خالقنا وخالق افعالنا ــ والله خلقكم وما تعملون ــ لذلك نرى الله يضع

بقية حاشية الصفحة ١٩

وفرعون في الفتوة فقال ابليس : ان سجدت سقط عني اسم الفتوة . وقال فرعون : ان آمنت برسوله سقطت من منزلة الفتوة . وقلت انا : ان رجعت عن دعواي وقولي سقطت من بساط الفتوة ؛ وقال ابليس انا خير منه حين لم يراء غيره غيرا ؛ وقال فرعون : ماعلمت لكم من اله غيري حين لم يعرف في قومه من يميز بين الحق والباطل . وقلت أنا : ان لم تعرفوه فاعرفوا آثاره وانا ذلك الاثر وانا الحق لاني مازلت بالحق حقا . . . فصاحبي واستاذي ابليس وفرعون : ابليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه وفرعون اغرق في اليم وما رجع عن دعواه ولم يقر بالواسطة البتة . وانا ان قتلت او صلبت اوقطعت يداي ورجلاي مارجعت عن دعواي» . كتاب الطواسين ص ٥٠ الى ٥٢ ؛

١ ــ التمهيدات ص ١٨٦ ؛

في طريق عباده ما يشاء ويقول : ـ هل من خالق غيرالله ـ »[1] ثم يضيف عين القضاة فيقول : « عزيزي كل ما رأيت عملا يضاف الى غيرالله احسب هذه الاضافة امراً مجازياً لا حقيقيا ولاتعد الفاعل الحقيقي الا الله ... لاتنظر هداية محمد للناس الا امراً مجازيا وكذلك قل في إضلال ابليس . الحقيقة هي ان تعلم ـ ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء »[2] ـ . ولابدلنا من التساءل هنا ايضاً فنقول : اذا ما كان الله يخلق فينا الخير والشر فما الحكمة اذن من بعث الرسل ونصب الشرائع ؟ وماهي حقيقة حرية الانسان وبالتالي مسؤوليته اذا ما كان الله وحده هو المسوؤل عن كل ما يرتكبه الانسان من المظالم ضد نفسه وضد ابناء جنسه وعما يرتكبه من العصيان والكفر ضد ربه وخالقه . ما قيمة شهادة ضمائرنا باننا مسئولين حقاً عن كل ما نقوم به من الخير والشر ؟ واذا ما كان الشر والكفر من عمل الله فما غاية الله من خلق الشر والكفر ؟ وكيف يمكن أن يريد الخالق الكامل الشر لمخلوقاته واحبائه ؟ ولا يكتفي عين القضاة بان يعزو الاضلال والكفر الى الله بواسطة ابليس بل نراه يقدم لنا نظرية ميتا فيزيقية في معنى الشر والظلام وقيمتهما الوجودية وان وجودهما ملازم لوجود الخير والنور فيقول : « عزيزي الحكمة هي ان كل ما وجد ويوجد وسيوجد لايليق ولن يليق ان يكون على خلاف ما هو عليه : لايليق مطلقا ان يكون البياض بلا السواد ؛ وكذلك لايليق ان تكون السماء بدون الارض ؛ ولايتصور ان يكون جوهر بلا عرض وكذلك لايليق ان يكون محمد بلا ابليس ؛ ان الطاعة لاتوجد بدون المعصية والكفر بدون الايمان وكذلك قل في جملة الاضداد . وهذا هو معنى قول القائل : وبضدها تتبين الاشياء »[3].

١ـ التمهيدات ص ١٨٢ ؛ ٢ـ التمهيدات ص ١٨٨ ؛

٣ـ التمهيدات ص ١٨٧ ؛

٣ـ مسألة اتحاد المخلوق بالخالق او مسألة الحلول

نذكر اولا العبارة التى انكرها الفقهاء على عين القضاة فى هذه المسألة و نتبعها بالرد الذى كتبه هو دفاعا عن نفسه ثم نعرض بعض الايضاحات التى ذكرها الشهيد الهمذانى فى بقية كتبه ونختم كل ذلك ببعض التعليقات على موقف عين القضاة من مسألة الحلول .

ومن جملة ما انكروه عليه قوله : «ان الله ينبوع الوجود ومصدر الوجود وانه هو الكل وانه هو الوجود الحقيقى وان ما سواه من حيث ذاته باطل وهالك وفانٍ ومعدوم وانما كان موجوداً من حيث ان القدرة الازلية تقوّم وجوده »[١] . فاجاب ان : « قولنا مصدر الوجود وينبوع الوجود كقولنا خالق كل شيء فمن اوّله على غير ذلك فهو مخطيء ... ولست انكر قولنا مصدر الوجود و ينبوع الوجود كلمات مجملة محتملة لمعان بعضها خطأ وبعضها صواب ... وكيف وفى رسالتى < زبدة الحقائق > ما لو تأمله المنصف علم ان الخصم متعنت اذ الخصم ان كان يفهم من قولنا مصدر الوجود وينبوع الوجود تعريضاً بقدم العالم فقد ذكرت فى تلك الرسالة قريبا من عشرة اوراق فى حدوث العالم[٢] واقمت على ذلك البرهان القاطع ؛ وان كان يفهم منه تعريضاً بنفى علمه بالجزئيات[٣] فقد برهنت على ذلك بحيث لا يشك فيه عاقل »[٤] .

وقوله : «الحق ان الله هو الكثير والكل وان ما سواه هو الواحد والجزو »[٥] فاجاب شارحا بان : « كل الموجودات بالنسبة الى عظمة ذاته كالجزء بالنسبة الى

١ــ الشكوى ص ٩ ؛ ٢ــ راجع الزبدة ص ٤٢-٦٤ .
٣ــ راجع الزبدة ص٢٠ـ٢٧ ؛ ٤ــ الشكوى ص ١٠ ؛
٥ــ الزبدة ص ٢١ ؛

الكل وكالواحد بالنسبة الى الكثير اذ كل الموجودات قطرة من بحر قدرته .. وليس المراد ان الله اكبر من العالم بكثرة الاجزاء بل بعظمة ذاته والمقصود منه الرد على الفلاسفة حيث قالوا : ان الله لم يخلق الا شيئاً واحداً »[١] .

وقوله : « اشرقت سلطنة الجلالة الازلية فبقي القلم وفني الكاتب »[٢] فاجاب بذكر قول الخلدي بان : « التصوف حال تظهر فيها عين الربوبية وتضمحل فيها عين العبودية ؛ وهذا هو مرادي حيث اقول : فتلاشى العلم والعقل والقلب وبقي الكاتب بلا هو ... وقال ابو الحسن الاسراري : التصوف هو سهوي عني وتيقظي بربي »[٣] .

وقوله : « طار الطائر الى عشه »[٤] فاجاب على هذه العبارة مستشهدا بقول ابي سعيد الخراز : ان الله جذب ارواح اوليائه اليه ولذذها بذكره »[٥] . ثم يقول ذو النون المصري : ان لله عباداً ينظرون بأعين القلوب الى محجوب الغيوب فتسيح ارواحهم في ملكوت السماء ثم تعود اليهم بأطيب جنى من ثمار السرور . . . ومن ذلك انه تواجد رجل في مجلس يحيى بن معاذ فقيل له : ماهذا ؟ فقال : غابت صفات الانسانية وظهرت احكام الربانية . . . وقال سليمان بن عبدالله : كل نفس يكون فيه ذكر الله فهو متصل بالعرش »[٦] .

وقوله : « لو ظهر مما جرى بينهما (بين سلطان الازل والكاتب) ذرة لتلاشى العرش والكرسي »[٧] . فاجاب انه : « متى خرجت انوار العقول والفهوم تلاشت في انوار الروح تلاشي انوار الكواكب والقمر في نور الشمس . ومنها يتحقق ان المتصوفة

١ـ الشكوى ص ٢٧ ؛
٢ـ الشكوى ص ٢٨ـ٢٩ ؛
٣ـ الشكوى ص ٢٩ ؛
٤ـ الشكوى ص ٢٧ الزبدة ص ٨٥ ؛
٥ـ الشكوى ص ٢٨ ؛
٦ـ الشكوى ص ٣٠ ؛
٧ـ الشكوى ص٢٧ الزبدة ص٨٦ ؛

لايعنون بالتلاشى عدم الشيء فى ذاته بل اختفاؤه بالنسبة الى مدركه . . . واحتراق العرش كتلاشيه ومن غاب عن نفسه فقد اتصل بربه واحترق فى حقه كل ما سواه كما حكى عن ابى‌سعيد الخراز فى‌حكاية انه قال : تهت فى‌البادية فهتف بى‌هاتف وقال :

فلوكنت من اهل الوجود حقيقة لغبت عن‌الاكوان والعرش‌والكرسى»[١]

وقوله «كذلك تخيلوا (علماء الظاهر) فى بعض الفاظها (الفاظ رسالة زبدة الحقائق) دعوى للرؤية الحقيقية التى طلبها موسى ـ عليه‌السلام ـ فقيل‌له لن‌ترانى»[٢] فاجاب بانه : «ليس‌المراد بالرؤية ما طلب موسى من ربه بل شيء آخر ظاهر الحقيقة عند اهلها»[٣] ثم ان علماء الظاهر لم يراجعوا ماجاء فى زبدةالحقائق فى‌هذا الموضوع والا لما : «غفلوا عن النص‌الصريح الذى لايقبل التأويل : ان الله لايتصور ان‌يراه احد فى‌الدنيا لاولى ولا نبى غير محمد ـ صلعم ـ»[٤] .

وقوله : «ومما انكروه على فى تلك الرسالة < زبدة الحقائق > ان الله منزه عن ان يدركه الانبياء فضلا عن غيرهم والادراك ان يحيط المدرك بكمال المدرَك وهذا لايتصور الالله فاذاً لايعرف‌الله غيرالله كما قال الجنيد»[٥].

فاجاب : «انما اشكل قولى على من اشكل من حيث ظن ان العلم بوجودالله وبوجود صفاته من‌العلم والقدرة والحيوة ... هومعرفةالله وادراك حقيقته وليس كذلك . . . فالصوفية يفرقون فرقاً عظيما بين‌العلم بالله وبين معرفةالله؛ والعلم بوجود القديم قريب واليه يشير قوله تعالى : «افى ذلك شك» ؟ فاما ادراك حقيقة الذات والمعرفة الحقيقية فليس ذلك الا لله . . . والعارفون لاينظرون الى‌الله من الاشياء بل ينظرون

١ـ الشكوى ص ٢٨ـ٢٩ ؛
٢ـ الشكوى ص ٢٨ الزبدة ص٨٥ـ٨٦ ؛
٣ـ الشكوى ص ٢٩ ؛
٤ـ الشكوى ص ٢٨ الزبدة ص ٩٥-٩٦
٥ـ الشكوى ص٣٣-٣٤ الزبدة ص١٣ـ١٤ ؛

فيالله الى الاشياء كما قال ابوبكر : ما نظرت فيشيء الا رأيت الله قبله . وليست هذه الرؤية من الرؤية الحاصلة فى الآخرة فى شيء بل الرؤية لفظ مشترك يطلقها الفقهاء والصوفية لمعان كثيرة »[١] .

لنرى الآن رأى عين‌القضاة فى مسألة اتحاد المخلوق بالخالق اوحلول الخالق فيالمخلوق كما جاء في التمهيدات . قلنا ان العشق فى نظر الهمذانى اساس علاقة الخالق بالمخلوق ، لكن كيف تنشأ هذه المحبة فى قلب الانسان ، وكيف تتجلى محبة الخالق للمخلوق ؟ احب الله الانسان اولا اذ خلقه ولم يكن شيئاً مذكورا . وقد وعى عين‌القضاة أسبقية حب الله له فطارقلبه دهشة وفرحا وعرفانا بالجميل، واخذ يردد الآية القرآنية ، يحبهم ويحبونه ، ويهينم بها . ما احلاها على قلبه وما اعذبها على‌لسانه ! ان‌الله احبه فاتخذ قلبه عرشا له . انها لتجربة لايفهما الا العشاق !

وكذلك نرى عين‌القضاة يهينم بالاحاديث النبوية التى تعبر عما اكتشف من تجربة رهيبة ويتغنىبها : قلب المؤمن بيت‌الله وسكن‌الله وعرش‌الله ، ما وسعنى ارضى ولاسمائى و وسعنى قلب عبدىالمؤمن ، لايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتىاحبه فمتى احببته كنت‌له سمعاً وبصراً ولساناً فبى يسمع وبى يبصر وبى ينطق ، أنا جليس منذكرنى الخ ... وهاهو يناجى ربه ويهمهم فى ضميره ليل نهار ويقول : لا اريد ان اعيش لذاتى بل‌لذاك الاله المتعالى الذى تنازل‌وحل فىقلبى . لا هم لى الا عمل‌مرضاة الالهالحبيب والتخلق‌باخلاقه : ان‌اكلت اوشربت او نمت اواشتغلت فاننىاقوم بكل‌هذه الاعمال من‌اجل حبيبى ، فله آكل واشرب وبه أسمع وارى . لقد صدق الشبلى‌حينما قال: العشق‌نار فى‌القلوب فاحرقت ماسوىالمحبوب . نعم‌احترقت فىّ كل‌ارادة شخصية

---

١ ـ الشكوى ص ٣٤-٣٥ ؛

وفنيت منى كل رغبة انسانية ، لست انا الذى اعيش بل اصبحت حياتى حياة خالقى وحبيبى . ولقد عبّر الحلاج عن هذه التجربة الحلولية تعبيراً صادقاً حينما قال :

أنا من اهوى ومن اهوى أنا ليس فى المرآة شىء غيرنا
قد سهى المنشد اذ أنشده نحن روحان حللنا بدنا
اثبت الشركة شركا واضحا كلّ من فرّق فرقاً بيننا
لا أناديه و لا أذكره إنّ ذكرى و ندائى يا أنا
فاذا ابصرتنى ابصرته و اذا ابصرته ابصرتنا[1]

اذا تأملنا اجوبة عين القضاة كما ذكرها فى الشكوى واذا دققنا فى شرحه لمعنى إتحاد الخالق بالمخلوق او فناء المخلوق فى الخالق ، وتلاشيه واستغراقه ومحوه وما شابهها من هذه العبارات ، كما جاء فى كتاب التمهيدات تبين لنا انه لا يقصد من هذه الالفاظ الفناء الوجودى واضمحلال انسانية العارف اضمحلالا جوهريا بل يقصد بالاتحاد او الحلول نوع من استيلاء الألوهية على الانسانية حتى وكأن الطبيعة البشرية تفقد القدرة على التصرف بذاتها بل تصبح اداة تستعملها الألوهية وتتصرف بها كما تشاء ؛ ولقد عبّر الحلاج فى الابيات التالية عن المقصود باستيلاء اللاهوت على الناسوت خير تعبير حيث قال :

«سبحان من اظهر ناسوته سرّ سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا لخلقه ظاهراً فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب للحاجب»[2]

واذا ما استولى اللاهوت على ناسوت المؤمن صارت افعال الناسوت افعالاً

١ــ ديوان الحلاج المقطع الحادى عشر ، تحقيق الاستاذ مسينيون ؛
٢ــ ديوان الحلاج المقطع السابع والخمسون ؛

للاهوت: فان شكر الناسوت الله كان اللاهوت يشكر نفسه بنفسه ، وان عرف الناسوت الله كان الرب يعرف نفسه بنفسه . ثم يستعير عين القضاة عبارات من اقوال الحلاج تصور لنا خير تصوير كيفية فناء السالك عن رؤية نفسه و كيفية بقائه بالحق : « اذا اراد الله ان يوالى عبداً من عباده فتح عليه باب الذكر ثم فتح عليه باب القرب ثم اجلسه على كرسى التوحيد ثم رفع عنه الحجب فيراه بالمشاهدة ، ثم ادخله دار الفردانية ثم كشف عنه رداء الكبرياء والجمال فاذا وقع بصره على الجمال بقى بلاهو ، فحينئذ صار العبد فانيا وبالحق باقيا ، فوقع فى حفظه سبحانه وتعالى وبرىء من دعاوى نفسه »[١] .

والواقع ان كل ما نقل عين القضاة من الاحاديث النبوية و كل ما ذكر من اقوال المتصوفة لايعنى شيئا آخر الا القول بان الله حل فى قلب المؤمن واتخذه سكنا . ماذا يقصد عين القضاة بكلمة الحلول ؟ استعمل شهيد همذان كلمة الحلول فى كتاب التمهيدات مراراً عديدة وقصد بها دائماً استيلاء اللاهوت على ناسوت العارف . ومن اقواله فى الحلول : « اذا ما خالجت جذبة من جذبات الحق قلب العارف كانت سحرا . و كأن هذه الجذبة يدّ تدك اركان الانسان دكا ... عندها تتجلى حقيقة « رأى قلبى ربى » ويتحقق العارف من القول المأثور « كونوا ربانيين » ... الويل لى ! فالحلول قد اسفر هنا عن وجهه ! عزيزى اذا اردت ان تحظى بالسعادة الابدية ، صاحب حلوليا ساعة من الزمن اى صاحب صوفيا لتعلم من هو الحلولى . لربما قصد هذا المعنى حينما قال ذاك الشيخ : الصوفى هو الله ... كل ما كان لله فهو للحولى الموحّد ، و كل ما تسمعه منه فى هذا المقام فانك تسمعه من الله . الويل لى ! كل من اراد ان يسمع الاسرار الالهية بدون واسطة قل له : ليسمعها من عين القضاة ؛ هذا هو معنى « ان الحق لينطق على لسان عمر . . . هنا اسفر الحلول عن وجهه ، هنا انجلى سرّ « تخلقوا باخلاق الله »[٢] .

١ــ التمهيدات ص ٢٤٧ ؛ ٢ــ التمهيدات ص ٢٩٩ و ٣٠٠ ؛

هل تتعارض نظرية الحلول مع تعاليم الاسلام ؟ ونقصد بالحلول كما قصد به الحلاج وعين القضاة يعنى حلول الله فى قلب الانسان حتى يصيرا روحان فى جسد انسانى واحد، لاحلول من يزعم بان الطبيعة كلها مظهر شخصى للالوهية. يعتقد الحلاج وعين القضاة وكثيرون من المتصوفة بان هناك تعارضاً اساسياً بين نظر الشريعة ونظر الحقيقة ؛ فالحلول هوالذى يعبر عن حقيقة علاقتنا بالله غير ان الشريعة تحرم افشاء هذا السر العجيب وتبيح دم كل من يجرأ على هتك سر الربوبية.

لقدعرف شهيد همذان بان افشاء تجربة الحلول امرخطير ربما ادى به الى الصلب بعد التعذيب. كما انه علم كالحلاج بأنه يحق للشريعة لابل يتحتّم على الشريعة ان تبيح دم من يفشى سرالربوبية ويدّعى بان الالوهية حلت فى قلب المؤمن، فلنسمعه يقول: « اواه ! لا استطيع كلاما ! اما رأيت بان الشريعة صارت رقيبا على أولئك الذين يفوهون بكلمة عن الربوبية ؟ كل من يفشى سر الربوبية سفكت الشريعة دمه فى الحال »[١]. لكن كيف يستطيع ان يخمد نار الحب الالهى، تلك النار الآكلة المتقدة فى احشائه ؟ لقد ذاق طعم الالوهية اذ أصبح قلبه عرش الله، ونَعُم بصحبة سلطان السموات والارضين اذ صار فؤاده سكنا لرب العالمين، فكيف يستطيع ان يخفى الحياة الالهية النابضة فى اعماق سريرته ؟ سيفشى سر الربوبية اذ لاعمل له بعد اليوم الا ان يبوح بهذا السر العظيم ! وانه ليتنبأ بسفك دمه فرحا طروبا، وانه ليتشوق الى ذلك اليوم بفارغ الصبر وها هو يكتب فى السنوات الاخيرة من حياته: «عزيزى ان التلفظ بكلمة العسل غير رؤية العسل، والنظر الى العسل غير اكله . . . حبذا لو تصبح حلوليا مثلنا ليكون نصيبك ما سينزلوه بنا عن قريب. اتظن بان القتل فى سبيل الله مصيبة او بلاء ؟ كلا ! ان القتل فى عرفنا بمثابة الروح. ماذا تقول ؟ الا يحب الانسان ان

١ــ التمهيدات ص ٢٣٠ ؛

ُينعم عليه بالروح !.. آه من ذلك اليوم ، يوم علق على الصليب حسين منصور الحلاج امير العشاق وقدوة العارفين ! عندها قال الشبلي : ناجيت‌الله في تلك الليلة فقلت : الهي الى متى تقتل المحبين · قال تعالى : الىان اجد الدية . قلت : يا رب وما ديتك ؟ قال لقائي وجمالي دية المحبين ... لقد اعطيناه (للحلاج) مفتاح سر الاسرار فأفشا سرنا فوضعنا في طريقه البلاء حتى يحفظ سرنا الآخرون · عزيزي ماهو سرك ؟ سرك ان يقطع رأسك . عندها يصبح سرك المولى . يا حسرتاه ! ليس هذا السر فيمتناول كل انسان ! غداً بعد ايام معدودات سترى يا عزيزي عين‌القضاة قد حظى بهذا التوفيق فيقدم‌عنقه فداء هذا السر ليحظى بالامارة »[1] . واذا ما تشوق شهيد همذان للاستشهاد فلم يكن ذلك الا استشهادا لحقيقة عاشها فصارت هي حياته ، ولم يقدم دمه قرباناً لنظرية حاكها الوهم والخيال .

اتفق‌عين‌القضاة مع‌الحلاج على‌القول‌بانه ينبغي‌على‌الشريعة ان تسفك‌دم‌من يبيح سرالربوبية فلنر الآن كيف يصور لنا شهيد بغداد تعارض نظر الشريعة والحقيقة في مسألة الحلول : «قال ابونصر البيضاوي : رأيت قطعة بخط الحلاج عند بعض تلاميذه ؛ اما بعد ... اعلم ان المرء قائم على بساط الشريعة ما لم يصل الى‌مواقف التوحيد فاذا وصل اليها سقطت من عينه الشريعة واشتغل باللوائح الطالعة من معدن الصدق فاذا ترادفت عليه اللوائح وتتابعت عليه الطوالع صار التوحيد عنده زندقة والشريعة عنده هوسا فبقي بلاعين ولا اثر ، ان استعمل الشريعة استعملها رسما وان نطق بالتوحيد نطق به غلبة وقهراً »[2] . ان قوام الشريعة التوحيد ، واساس التوحيد الاقرار بان لااله الاالله العلي العظيم المتعالي عن كافة المخلوقات اذ المسافة لامتناهية بين الخالق والمخلوق ؛ بينما نرى ان التجربة الحلولية التي عاناها الحلاج وعين‌القضاة تقوم على

---

١ ــ التمهيدات ص ٢٣٥ و٢٣٦ ؛ ٢ــ اخبارالحلاج رقم ٤٧ تحقيق الاستاذ مسينيون ؛

محو الهوة السحيقة التي تفصل الخالق عن المخلوق ؛ فالحلاج يؤكد لنا كما يؤكد لنا عين القضاة من بعده أن الالوهية حلت في قلبه فاضحى واياها وجوداً واحداً . ويروى عن عبدالودود بن سعيد بن عبدالغنى الزاهد قال : رأيت الحلاج دخل جامع المنصور ... فقال : اعلموا ان الله تعالى اباح لكم دمى فاقتلونى . فبكى بعض القوم . فتقدمت من بين الجماعة وقلت : يا شيخ كيف نقتل رجلا يصلى ويصوم ويقرأ القرآن ؟ فقال : ياشيخ المعنى الذى به تحقن الدماء خارج عن الصلاة والصوم وقرآءة القرآن، فاقتلونى تؤجروا واستريح . فبكى القوم وذهب وتبعته الى داره وقلت : يا شيخ ما معنى هذا ؟ قال : ليس فى الدنيا للمسلمين شغل اهم من قتلى . فقلت له : كيف الطريق الى الله تعالى؟ قال الطريق بين اثنين وليس مع الله احد . فقلت بيّن . قال : من لم يقف على اشاراتنا لم ترشده عباراتنا ثم قال :

أأنت ام أنا هذا فى الهين حاشاك حاشاك من اثبات اثنين
هوية لك فى لائيتى ابداً كلى على الكل تلبيس بوجهين
بينى وبينك أنيّى يزاحمنى فارفع بأنيك انيى من البين

لقد كشف الله للحلاج عن سر محبته اللامتناهية لانه اتخذ قلبه عرشا لالوهيته فهل يكتم عن بنى آدم اخوانه حقيقة هذا السر؟ اما دوت فى اذنى قلبه الكلمة المأثورة : شر الناس من اكل وحده ؟ انه لايستطيع ان يخفى ما هو اظهر من الشمس فى رابعة النهار! أضف الى انه لايريد ان يطفئى من قلبه هذه النار الالهية ولو كلفه ذالك تضحية حياته . أيخاف الموت وهو ينتظره بفارغ الصبر ؟ الا يود العاشق من صميم قلبه ان يفارق كل شيء لينفرد بالمعشوق ؟ وها نحن نرى الحلاج يهمهم نهاراً وليلا :

اقتلونى يا ثقاتى ان فى قتلى حياتى ...
ان عندى محو ذاتى من احل المكرمات



لوحة «ميناتور» فارسية من القرن الحادى عشر هجرى مخطوطة پاريس رقم ١٤٨٩ صفحه٢٢٦ . اخذنا هذه اللوحة وباقى اللوحات الموجودة فى الشكوى من كتاب آلام الحلاج تأليف الاستاذ لويس مسينيون .

و بقائى فى صفاتى	من قبيح السيئات
سئمت نفسى حياتى	فى الرسوم الباليات
فاقتلونى و احرقونى	بعظامى الفانيات
ثم مروا برفاتى	فى القبور الدارسات
تجدوا سر حبيبى	فى الطوايا الباقيات[١]

ماذا يصنع الحلاج والشريعة لن ترض عنه اذا ما افشى سر الربوبية ؟ الشريعة فى نظره الهية واحكامها مقدسة فمن العدل اذن ان تعامله كما تعامل سائر من يخالف تعاليمها وان تسفك دمه لانه لم يكتم سر الربوبية لذلك نراه يطلب من الله ان يغفر للذين سيقتلونه تعصباً للشريعة . ولقد ذكرلنا ابراهيم بن فاتك ، تلميذ المنصور الذى استشهد مثل استاذه ، رأى الحلاج فى الحلول واتحاد الخالق بالانسان المخلوق وكيف رضى بحكم الشريعة فى اباحة دمه فقال : «لما أُتيَ بالحسين بن منصور ليصلب رأى الخشبة والمسامير فضحك كثيراً حتى دمعت عيناه . ثم التفت الى القوم فرأى الشبلى فيما بينهم فقال له : يا ابابكر هل معك سجادتك ؟ فقال بلى يا شيخ . قال : افرشها لى . ففرشها فصلى الحسين بن منصور عليها ركعتين وكنت قريباً منه فقرأ فى الاولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى : «لنبلونكم بشيء من الخوف والجوع» وقرأ فى الثانية فاتحة الكتاب وقوله تعالى : «كل نفس ذائقة الموت» فلما سلّم عنها ذكر اشياء لم احفظها وكان مما حفظته : اللهم انك المتجلى عن كل جهة المتخلى من كل جهة . بحق قيامك بحقى وبحق قيامى بحقك ، وقيامى بحقك يخالف قيامك بحقى فان قيامى بحقك ناسوتية وقيامك بحقى لاهوتية ، وكما ان ناسوتيتى مستهلكة فى لاهوتيك غير ممازجة اياها ، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتى غير مماسة لها . وبحق قدمك

١ــديوان الحلاج المقطع السابع ؛

على حدثى وحق حدثى تحت ملابس قدمك ان ترزقنى شكر هذه النعمة التى انعمت بها على، حيث غيبت اغيارى عما كشفت لى من مطالع وجهك وحرمت على غيرى ما ابحت لى من النظر فى مكنونات سرك . وهؤلاء عبادك اجتمعوا لقتلى تعصبا لدينك وتقربا اليك فاغفر لهم فانك لو كشفت لهم ما كشفت لى لما فعلوا مافعلوا ، ولوسترت عنى ما سترت عنهم لما ابتُليت بما ابتليت . فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد . ثم سكت وناجى سرا . فتقدم ابوالحارث السياف فلطمه لطمة هشم انفه وسال الدم على شيبه »[1] .

لم يشك الحلاج مطلقا وكذلك لم يشك عين القضاة بان قلب المؤمن عرش الله كما انهما اتفقا على القول بان الشريعة الاسلامية تحرم افشاء سر الربوبية هذا وتبيح دم من يدعى ان الالوهية قدحلت فى انسانية المؤمن وان الله قد اتخذ قلب الانسان عرشا وسكنا . ولكن ماهو رأى الشريعة الاسلامية فى مسأله الحلول ؟ يمكننا ان نقسم موقف المسلمين فى مسألة الحلول الى اربعة اقسام : موقف الفقهاء ، موقف المفسرين ، موقف المتكلمين وموقف الصوفيين :

١ــ موقف الفقهاء : اما الفقهاء ففئتان : الفئة الاولى وهم الاكثرية الساحقة قد كفّرت الحلاج كما كفرت عين القضاة وغيره ممن قالوا بنظرية الحلول من بعده ويمكننا ان نعتبر ابابكر محمدبن داودبن على بن خالف الاصفهانى الملقب بابن داود ممثل هذه الفئة وهو الذى افتى بقتل الحلاج فقال : اذا كان ما اوحاه الله لنبيه صحيحا فاقوال الحلاج مغلوطة مردودة .

اما الفئة الثانية من الفقهاء فهم الذين توقفوا عن الحكم على اقوال المتصوفة وعدّوها خارجة عن اختصاص المحاكم الشرعية ويمكننا ان نعد ابا العباس احمدبن

١ــ اخبار الحلاج ص ٧و٨ ؛

عمر بن سريج ممثلا لهذه الفئة اذ قد طُلب منه ان يفتي في قتل الحلاج فرفض . جاء في اخبار الحلاج انه : «يروى عن ابراهيم بن شيبان انه قال : دخلت على ابن سريج يوم قتل الحلاج فقلت : يا اباالعباس ما تقول في فتوى هؤلاء في قتل الرجل؟ قال : لعلهم نسوا قول الله تعالى : أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله ؟ وقال الواسطي : قلت لابن سريج : ما تقول في الحلاج ؟ قال ؛ اما أنا اراه حافظاً للقرآن عالما به ماهراً في الفقه عالماً بالحديث والاخبار والسنن صائما الدهر قائماً الليل يعظ ويبكي ويتكلم بكلام لا افهمه فلا احكم بكفره»[1] . و إن « حكم ابن سريج هذا لايزال معتبراً حتى اليوم وخاصة عند الشافعية »[2] .

٢ـ موقف المفسرين : والمفسرون كذلك فئتان نكتفي ان نلمّح باولئك الذين ذكروا في تفاسيرهم اقوال المتصوفة في الحلول كابن عطاء والسلمي : فابن عطاء محدث وشيخ يعترف به الحنابلة ؛ اما تفسير السلمي فقد دُرّس في مدرسة نيشابور ومدرسة النظامية ثم جدد نشره البقلي ولايزال يعاد طبعه في الهند حتى اليوم .

٣ـ موقف المتكلمين: اما المتكلمون فنكتفي بان نذكر موقف علم من اعلامهم في مسألة الحلول ولقد لخص ابن تيمية رأيه في هذا الموضوع كما يلي :

«واما قول (الحلاج) بيني وبينك أنيّي تزاحمني فارفع بحقك أنييّ من البين، فان هذا الكلام يفسر بمعان ثلاثة يقوله الزنديق ويقوله الصديق : فالاول مراده به طلب رفع ثبوت أنيته حتى يقال : ان وجوده هوالحق وأنيته هي أنية الحق ، فلايقال : انه غيرالله ولاسوى الله . ولهذا قال سلف هؤلاء الملاحدة : ان الحلاج نصف رجل وذلك انه لم ترفع له الآنية بالمعنى فرفعت له صورة فقتل . وهذا القول مع مافيه من الكفر والالحاد فهو متناقض ينقض بعضه بعضا ، فان قوله « بيني وبينك أنيي تزاحمني »

١ـ اخبار الحلاج ص ١٠٦ و ١٠٧ ؛ ٢ـ آلام الحلاج ج١ ص٧٤٠ مسينيون ؛

خطاب لغيره واثبات أنيّة بينه وبين ربه وهذا اثبات امور ثلاثة ، ولذلك يقول : « فارفع بحقك أنيي من البين ، طلباً من غيره أن يرفع الآنية وهو طلب الفناء . والفناء ثلاثة اقسام : فناء عن وجود السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن عبادة السوى . فالاول هو فناء اهل الوحدة الملاحدة كما فسروا به كلام الحلاج وهو ان يجعل الوجود كله وجوداً واحداً .

واما الثانى وهو الفناء عن شهود السوى فهذا هو الذى يعرض لكثير من السالكين كما يحكى عن ابى يزيد وامثاله ، وهو مقام الاصطلام وهو ان يغيب بموجوده عن وجوده وبمعبوده عن عبادته وبمشهوده عن شهادته وبمذكوره عن ذكره فيفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل . وهكذا كما يحكى ان رجلا كان يحب آخر فالقى نفسه فى الماء فالقى المحب نفسه خلفه فقال : أنا وقعت فَلِمَ وقعت انت ؟ فقال : غبت بك عنى فظننت انك انى . فهذا حال من عجز عن شىء من المخلوقات اذا شهد قلبه وجود الخالق ، وهو امر يعرض لطائفة من السالكين . ومن الناس من يجعل هذا من السلوك ومنهم من يجعله غاية السلوك حتى يجعلوا الغاية هوالفناء فى توحيد الربوبية فلا يفرقون بين المأمور والمحظور والمحبوب والمكروه وهذا غلط عظيم غلطوا فيه بشهود القدر واحكام الربوبية عن شهود الشرع والامر والنهى وعبادةالله وحده وطاعةرسوله . فمنطلب رفع أنيّته بهذا الاعتبار لم يكنمحموداً على هذا ولكن قد يكون معذوراً .

واما النوع الثالث وهوالفناء عن عبادة السوى فهذا حال النبيين وأتباعهم وهو ان يفنى بعبادةالله عنعبادة ماسواه وبحبه عن حب ماسواه وبخشيته عن خشية ماسواه وبالتوكلعليه عنالتوكل عما سواه . فهذا تحقيق توحيدالله وحده لاشريكله ، وهو الحنفية ملة ابراهيم . . . < حيث > يفنى < السالك > عن اتباع هواه بطاعةالله

فلايحب الاالله ولايبغض الاالله ولايعطى الاالله ولا يمنع الاالله . فهذا هوالفناء الشرعى الذى بعثالله به رسله وانزل به كتبه ومن قال «فارفع بحقك انيى من البين بمعنى ان يرفع هوى نفسه فلايتبع هواه ولا يتوكل على نفسه وحوله وقوته بل يكون علمه لله لالهواه وعمله بالله وبقوته لابحوله وبقوته كما قال الله تعالى ـ اياك نعبد واياك نستعين ـ فهذا حق محمود»[١] .

٤ـ موقف الصوفية : فمنهم فئة يقولون بالحلول كما اعتقدبه الحلاج وعين القضاة فيقرون بحلول الالوهية . فالشبلى والنصر آبادى وابوسعيد بن ابى الخير وابن خفيف يعترفون باصالة تجربة الحلاج وبصحة مذهبه الصوفى ويجلون بطولته لقبوله الموت وقد اعدوا الطريق بموقفهم هذا للملحمة الحلاجية التى نظمها فريدالدين العطار فيما بعد[٢] . لكنهم يأكدون على ضرورة كتمان هذا السر الاعن الخلّص من المريدين لان الشريعة لاتسمح بافشاء سر الربوبية . واذا ما اوجبت الشريعة سفك دم الولى فلايخرج حكمُ الشريعة الصوفى الشهيد من حضيرة الاسلام لان كلا من الضحية والجلاد مسلم امين[٣] .

اما الفئة الثانية من الصوفية قد قبلوا التجربة الحلولية كما قال بها الحلاج وعين القضاة غيرانهم عبروا عنها بقالب فكرى خاطىء زاعمين بان وجود العالم وجود موهوم وأنْ لاموجود فى الحقيقة الاالله . ننهى هذه المقدمة بنقل مختصر لنظرية وحدة الوجود (عند ابن العربى واتباعه) كما عرضها وعلق عليها الشيخ احمد الفاروقى[٤] : «ظن

١ـ مجموعة الرسائل والمسائل ابن تيمية مصر ١٣٤١ ص ٨٢ ؛

٢ـ لقد صار الحلاج المصلوب فى الشعر التركى بمثابة الولى الاكبر وكذلك تجل البكداشية صلب الحلاج وتكرم آلامه ؛ ٣ـ راجع آلام الحلاج مسينيون ج١ ص٣٠٥ . ٤ـ المتوفى سنة ١٠٤١ هجرى والملقب بمجدد الالف الثانى لانه جدد الطريقة النقشبندية بعد الالف من الهجرة فأسس النقشبندية الجديدة المنتشرة منذ اربعة قرون فى الهند والپاكستان والافغانستان ؛

اكثر المتصوفة والمتأخرين منهم بصفة خاصة (يعنى ابن‌العربى والجامى ومن تبعهم فى القول بوحدة الوجود) بان الممكن هو عين‌الواجب وقالوا بان صفات الواجب من علم وقدرة الخ . . . عين ذات‌الله تعالى وان الصفات لاتتمايز فيما بينها فلا يوجد فى‌الله تعدد فى الاسماء والافعال وليس هناك تمايز وتباين . . . وما الاسماء والصفات الا شئون واعتبارات . . . ثم يقولون بأن الحقيقة المحمدية هى التعيُّن الاول للذات الواجبة وان التعين الثانى هو حقائق الممكنات ويسمونها الاعيان الثابتة ؛ وهذان التعينان العلميان هما الوحدة والاحدية فلا موجود فى الحقيقة الا الذات الالهية اما الاعيان‌الثابتة فلم تشم رائحة‌الوجود الخارجى‌مطلقا[1] ولا يوجد فى‌الخارج الا الاحدية المجردة عن كل تعين ، والكثرة التى نظنها حقيقية ، ماهى الا صورة خيالية للاعيان الثابتة ... وتنقسم هذه الكثرة اذن الى ثلاثة اقسام : القسم الاول وهو التعين الروحى والقسم الثانى هوالتعين المثالى والقسم الثالث هوالتعين الجسدى ويتعلق بعالم‌الشهادة ... لم يذكر احد قط من‌المتصوفة قبل‌الشيخ محيى‌الدين بن‌العربى هذه‌العلوم ... ولم يشرح احدالاحدية بهذا النوع‌من‌البيان . لقد تكلم‌المتصوفة قبله فى‌التوحيد والاتحاد فى‌غلبات السكرمثل قولهم : سبحانى ما اعظم شأنى وأنا الحق وغيرذلك من العبارات لكنهم لم يعيّنوا مقصودهم من الاتحاد ولم يهتدوا الى شرح حقيقة التوحيد . لذلك كان الشيخ برهانا للمتقدمين من هذه الطائفة وحجة للمتأخرين ومع ذلك بقى كثير من الدقائق مستور . . . وُفِّق الفقير الى جلائها»[2] ثم يشرح لنا الفاروقى كيف ان وجودالعالم فى‌نظره ظلاً لله لا امراً خيالياً كما زعمه ابن‌العربى‌فقال: « ان‌وجود العالم

١ــ المكتوبات باللغةالفارسية للامام الربانى‌حضرة المجدد الالف‌الثانى احمدفاروقى ج٢ص٥ ؛

٢ــ مكتوبات الفاروقي ج٢ ص ٥و٦ ؛

وجود خارجى ظلى بينما وجودالله وجود خارجى اصلى لذلك لايصح ان يقال بان العالم عينالله ولايجوز ان يحمل الواحد علىالآخر لان العالمالمخلوق والا له الخالق متغايران فى الخارج . . . واذا قيل بان الشيخ محىالدين بن العربى واتباعه يقولون ايضاً بان العالم ظلالله فما الفرق بينك وبينهم ؟ انهم يعتبرون الوجود ظلا بمعنى انه لايوجد الافى الوهم وانه لم يشم رائحة الوجود الخارجى فكثرة الموجودات فى نظرهم امر موهوم ولا وجود الا للوحدة والموجود الخارجى واحد وهوالله . . . بينما وجود الموجودات الظلى فى نظر الفقير خارجى ... فاطلاق الوجود على الموجودات الممكنة (المخلوقات) اطلاق حقيقى لامجازى »[1] .

واذا ما أكد الفاروقى علىاصالة وجود الموجودات وعلى اشتراكها فىالوجود الخارجى مع وجود الواجب ـ فذلك ردّ على من يقول بوحدة الوجود ويزعم بان الموجودات ماشمت رائحة الوجود الخارجى ـ لكن ذلك لم يمنعه من التأكيد على التغاير الاساسى بين المخلوقات الممكنة والخالق الواجب؛ فليست المخلوقات عين الخالق لان : « الممكن عدم وما انعكس على العدم من الاسماء والصفات الاشبح الاسماء والصفات ومثالها لا عينها ، فالقول بانالله هو عين الاشياء قول خاطىء بل ينبغى ان يقال ان كل شىء من الله »[2] . واذا ما اختلفت الطبيعة الألهية الواجبة عن طبيعة المخلوقات الحادثة اختلافاً جوهريا استحال على طبيعة المخلوق الحادثة الوجود ان تصير طبيعة واجبة الوجود . فمن المستحيل اذن ان تصبح الطبيعة الانسانية ، المخلوقة الحادثة ، عين الطبيعة الألهية . فتأليه البشرية لايمكن ان يعنى ان الطبيعة البشرية اصبحت طبيعة الهية بل لابد ان يفهم التأليه على معنيين لاثالث لهما .

١ـ مكتوبات الفاروقى ج٢ ص ٧و٨ ؛ ٢ـ مكتوبات الفاروقى ج٢ ص ٨ ؛

١ـ فاما ان نقول بان الطبيعة الانسانية اصبحت الهية اذا ما كان حاملها الشخص الألهى كما هى الحال فى المسيح الذى له طبيعتان ، طبيعة الهية وطبيعة انسانية ، فى شخص ميتا فيزيقى واحد .

٢ـ واما ان نقول بان الطبيعة الانسانية اصبحت الهية بنشاطها الروحى لا بطبيعتها فاذا ما احبت الارادة البشرية خالقها بجماع قوتها كما يحب ذاته ، وعزمت ان لا تريد الا ما يريد الله و كما يريد اصبحت الهية لانها تشارك الله فى ارادته ؛ و كذلك اذا ما تقبّل العقل ما اوحاه الله عن حقيقة ذاته وعاش من هذه الحقيقة الألهية اصبح عقله الهيا لانه يشارك الله فى معقوليته لذاته .

اغتنم الفرصة فى خاتمة هذه المقدمة لاعبر عن بالغ امتنانى للدكتور مينوچهر استاذ التصوف و مدير مطبعة جامعة طهران لاهتمامه بنشر هذه الرسالة كما اننى اشكر الصديق العزيز الاستاذ فارس ابراهيم حريرى لمساعدتى فى تنقيح طبعها .

عفيف عسيران

طهران { ١ اوغست ١٩٦٢
٢٩ صفر ١٣٨٢ }

رسالة

شكوى الغريب عن الأوطان الى علماء البلدان

أحقاً عبادَ اللهِ أنْ لستُ صادراً ... ولا وارداً إلّا عليَّ رقيبُ 3

هذه لمعةٌ أَصدَرَها الى المرموقين من العلماء و المشهورين فيما بين الفضلاء ، أدام اللهُ ظلالَهم ممدودةً على أهل الآفاق ولا زالت أقطارُها مشرقةً بأنوارهم غاية الإشراق ، غريبٌ عن وطنِهِ ومبتلى بصُروف الزمان و مِحَنِه ، عن جفن يُلازمُه الأرقُ 6 و وسادٍ لايفارقه القلَقُ و بُكاءٍ طويل و زفرةٍ و عويل ، و همٍ آخِذٍ بمجامعِ قلبه وزادَه كرباً الى كربه ، وفؤادٍ يُشرِقُ بالكمدِ أرجاؤُه و يَضيقُ عن تباريحه سُويداؤه ، وقلبٍ أحرقه الفراقُ بنيرانه صبابةً الى أحبّته و إخوانه ، ولَوعةٍ تتلّظى في الجوانح 9 نارُها وتَظهرُ على مَمَرِ الأيام آثارُها ، و مُنادَمتِه للكواكب و مناجاته لها بالدموع السواكب :

أسِجناً وقيداً واشتياقاً وغربةً ... ونأيَ حبيبٍ ؟ إنّ ذا لَعظيمُ ! 12

ومع هذا فلاصديقَ يبثّه بعضَ أشجانه ويَستروِحُ اليه عمّا يُقاسيه من إخوانه ، ولا أخَ يشكو اليه صُروفَ الدهر ويستعينُ به على ما يُعالجُه من شدةِ الأمر ، فهو يَسهرُ الليلَ الطويل ويُقضّي نهارَه بماقيل : 15

أُكرِّرُ طرفي لاأرى من أُحبُّهُ ... وفي الدار ممّن لاأُحبّ كثير

3-11 احقا ... السواكب M ـ B ‖ 8 تباريح : كلف المعيشة في المشقة والشدة ‖ 13-15 ومع ... قيل M ـ B ‖ 16 احبه B أحبة M ‖

وأذا اشتدّ به ضيقُ الصدر تعلّل بإنشادِ هذا الشعر :

و أنزلنى طولُ النوى دَارَغُربةٍ | إذاشِئتُ لاقيتُ امرءاً لا اُشاكلُه
اُحامقُه حتى يُقال سَجيّةٌ | ولوكان ذا عقل لكنتُ اُعاقلُه (3)

و إذا تذكّرَ عرارَ أروَند و حَوْذانَها ، و همذانَ و بها أرضعَتْه رَبّاتُ الحجالِ لِبانَها، تَحدَّرَتْ دموعُه وتَصدَّعَتاً كبادُه وضلوعه و تَلَوَّىوجداً عليها وأنشد شوقا اليها

ألا ليتَشعرى هلترىالعينُ مرةً | ذُرَى قُلّتَىْ أروندَ من همذانِ (6)
بلادٌ بهـا نيطَت علىَّ تمائمى | و اُرضِعتُ من عُفّاتِها بِلبانِ

و إذا تذكّرَ اخوَانه أحفى بقول ابنالطَثرِيَةِ لسانَه :

ليت الرِّياحُ يَجِئْننا بكلامِهِم | و يَجِئْنَهُم مِنّـا بِرَجعِ كلام (9)
برسائلٍ يُمْرِضنَنَا و وسائلٍ | يُشفيننَا من غُلّة و هيـام

ثم شدا بقول حبيب وهو يَحِنُّ حَنينَ مشتاقٍ كئيب :

ما أقبلَتْ أوْجهُ اللذاتِ سافِرَةً | مُذ أدبَرَت باللِوى أيامُنا الاُوَلُ (12)

ولاغروَ أنْ يُغلَب الصبرُ ويَضيقَ عن كتمان سِرّه الصدرُ ، فالمكروبُ إذا ترَفّعَت

1-5 واذا ... اليها B ـ M ‖ 3 حامقه : ساعده على حمقه ‖ عاقله : غالبه فى العقل فغلبه ‖ 4 عرار : النرجس البرى ‖ أورند يا الوند : اسم جبلنزه خضر نضرمطل علىمدينة همذان ‖ حوذان : نبات طيب الطعم زهره احمر فى اصله صفرة ‖ حجال : م حجلة والحجلة ستر يضرب للعروس فى جوف البيت اوبيت يزين لها ..والمقصود بربات الحجالالنساء ‖ 7 نيط عليهالشيء : اى علق عليه ‖ تمائم م. تميمة وهى خرزة كانوا يعتقدون انها تمام الدواء و الشفاء . . . والتميمة قلادة من سيور و ربما جعلت العوذة التى تعلقفىاعناق الصبيان ... وقال رفاعبن قيس الاسدى :

بلاد بها نيطت على تمائمى | و أول أرض مس جلدى ترابها

(لسانالعرب ج١٤ص٣٣٦) ‖ عفاتم عفة وعفافة وهى بقيةاللبنفىالضرع ‖ 9 ليت M واذا B ‖ تجئننا B يجئننا M ‖ 10 امرضه : وجده مريضا ‖ الغلة : العطش الشديد ‖ 12 اللوى : بينالدخول وحومل وهياسماء امكنة فيالجزيرة العربية ‖ 13 ترفع : امتد وطال ‖ 10-13 برسائل ... ترفعت B ـ M ‖

زفراتُه نمّت على أسراره عبراتُه ، و ليس للانسان بما لايُطيقُه يدان . وما أنصف من قال وبيّن هذا الحال :

كتمتُ الهوى يوم النوى فترقّعَتْ ... بــه زفراتٌ ما بِهِنّ خَفاءُ 3

يَكدْنَ يُقطِّعنَ الحيازيم كلّما ... تَمَطّت بهنّ الزفرة الصُعَداءُ

والمرحوم من ازدحمت الهمومُ عليه فلم يجد من يتسلّى به كما أشار بشّارٌ اليه :

وأبثثتُ عَمراً بعضَ مافي جَوانِحِي ... و جرّعتُه من مُرّ ما أتجرّعُ 6

ولابُدّ من شكوى إلى ذي حفيظةٍ ... إذا جعلَت أسرارُ نفسى تطلّعُ

و هل يستوعِرُ الطريقَ من وَجد الرفيق ، أو يَتَبرّمُ بتنائى دارِه مَن ظَفِرَ بمن يشاكله في جواره ؟ ألا ترى الى قول ذى القروح وهوفى نزع الروح : 9

أجارَتنا إنّ المزارَ قريبُ ... و إنى مقيمٌ ما أقام عسيبُ

أجارَتنا إنّا غريبانِ هاهنا ... و كلُ غريبٍ للغريب نَسيبُ

فإنْ تَصِلينا فالمودّةُ بيننا ... وَإن تهجُرينا فالغريب غريبُ 12

وقد ذكرتُ بشعر ابن حُجر قولَ طهمان بن عَمرو :

ألا حَبّذا و اللهِ لو تعلمانِــه ... ظِلا لـكُما يا أيُّهـا العَلَمانِ

وماؤُكُما العذبُ الذى لو شَرِبتُه ... و بى صالبُ الحُمّى إذاً لَشفانى 15

---

3 النوى : البعد ‖ 4 الحيازيم: م. حيزوم وهو وسط الصدر «قطع الحيازيم» كناية عن نفاذ الصبر ‖ تمطت بهن الزفرة : امتدت وطالت ‖ الصعداء : النفس الطويل من هم اوتعب ‖ 7 حفيظة : الحفاظ للذب عن المحارم والمنع لها ‖ 8 تنائى : ابتعاد ‖ 9 ذى القروح : يعنى امرؤالقيس ‖ 10 عسيب : اسم جبل وقال الازهرى هوجبل بعالية نجد معروف ، يقال لاأفعل كذا ما أقام عسيب ، وقال امرؤ القيس :

أجارتنا ان الخطوب تنوب ... و انى مقيم ما أقام عسيب

(لسان العرب ج٢ ص ٨٩) ‖ 13 ذكر : تذكر ‖ 15 صالب الحمى : الحمى الشديدة الحرارة ومعها رعدة ‖ 1_15 زفراته .. لشفانى M_B ‖

فإنّىَ والعَبسىَّ فى أرضِ مَذحِجٍ ... غريبان شتّى الدار مُصطحِبان

غريبان مجفُوّانِ أكبَرُ همّنا ... ذميلُ مطايانا بكلّ مكان

3 فَمَن يرَ مَمْسانا و مَلقى رحالِنا ... مِن الناس يعلم أننا سَبُعان

وما كان غضُّ الطرف منّا سَجيّةً ... و لكنّنا فى مَذحج غُرُبان

و كأنّى بالركب العراقى يُوافون همذانِ و يَحطُّون رحالَهم فى محانى ماوَشان

6 وقد اخضرّت منها التلاعُ والوهاد ، وألبسها الربيعُ حِبَرةً يحسدُها عليها البلاد ؛ وهى تَفُوح كالمسك أزهارُها ويَجرى بالماء الزلالِ أنهارُها ، فنزلوا منها فى رياضٍ مونقةٍ و استظلّوا بظلال أشجار مورقةٍ ، فجعلوا يُكرّرون إنشادَ هذا البيت و هم يَتَنَوّحون

9 بِنَوحِ الحمام وتغريدِ الكُعَيت :

حيّاكِ يا همذانُ الغيثُ من بلدٍ ... سقاكِ يا ماوَشانُ القَطرُ من وادِ

ثم استقبلهُم الاخوانُ و ساء لهم عن أحوالنا الشيبُ و الشُبّان ، وبلغت القلوبُ

12 الحناجرَ وأخذَتْ عيراتُهم المحاجرَ وقالوا :

وقالت نساءُ الحىّ أينَ ابنُ أُختِنا ... ألا أخبرونا عنه حُيّيتُمْ وَفْدا

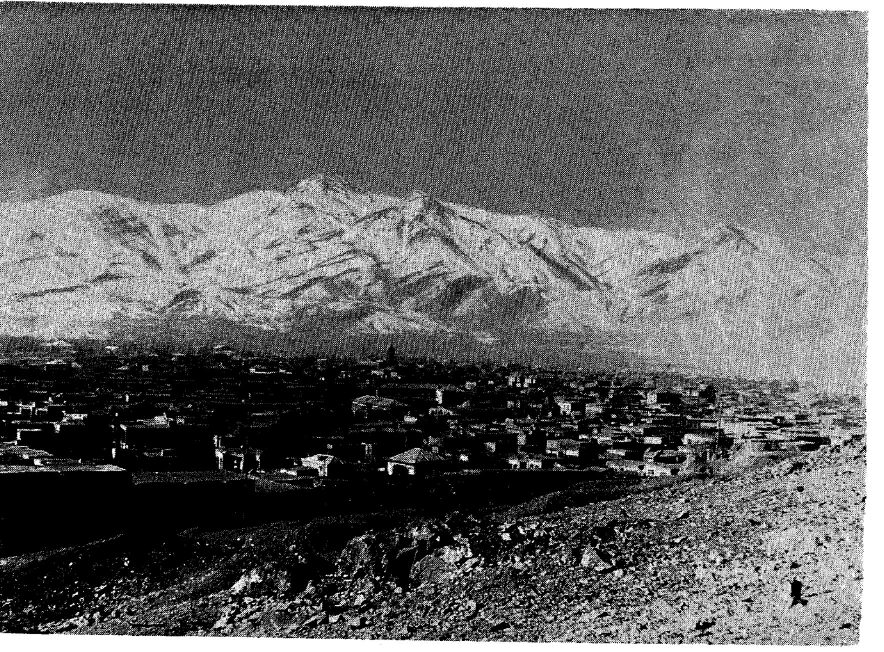
رعاهُ ضَمانُ اللهُ هل فى بلادكم ... أخو كرمٍ يرعى لِذِى حسبٍ عهداً

15 فإنّ الذى خلّفتموه بأرضكم ... فتى ملأ الاحشاءَ هجرانُه وَجْدا

أبغدادُكم تُنسيه أروندَ مربَعاً ... ألاخابَ مَن يشرى ببغداد أروندا

---

1 مذجج : اسم مكان من ذجج و ذججت المرأة بولدها : رمت به عند الولادة ‖ 2 ذميل المطايا : سير النياق سيراً ليّنا ‖ 3 ممسى : المكان الذى يُمسى فيه ‖ 4 غروبان مثنى غرب : غريب ‖ 5 محانى م محنية ومحنوة ومحناة وهى منعطف الوادى ‖ 5و10 ماوشان : واد قرب همذان ‖ 6 حبرة : ضرب من برود اليمن ‖ 9 <كعيت> : عندليب ؛ كعهب B ‖ 12 محاجر م. محجر وهو ما دار بالعين الحدقة ‖ 5–12 و كأنى . . . وقالوا M –B ‖



منظر من مدينة همذان وجبل اروند

فَدَتْهُنَّ نفسى لو سَمِعنَ بما أرى … رمى كُلُّ جيدٍ من تَنَهُّدِه عِقدا

وكيف أنسى إخوانى ولا أحنُّ الى أوطانى و قد قال رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه وآله ـ : حُبُّ الوطن من الايمان ! ولاخفاءَ بأنّ حُبَّ الأوطان معجونٌ بفطرة الانسان : 3

أَحبُّ عبادِ الله ما بين مَنعَجٍ … وَحَرّةِ ليلى ان تصوب سحابُها

بلادٌ تلقّتنى بِهِنَّ قوابلى … وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جلدى تُرابُها

ولما قدم أُصيل الخُزاعىُّ من مكّة على رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه وآله ـ قال له : 6 صف لنا مكّة ، فجعل يَصِفُها له حتى قال : أبرَمَ سَلَمُها و أمشَرَ إذخِرُها ، فقال له عند ذلك : يا أُصيل دع الفؤاد يَقِرّ . وسمع ـ صلّى‌الله عليه ـ بلال ينشد :

ألاليت شعرى هل أبيتنَّ ليلةً … بوادٍ و حولى إذخِرٌ وجَليلُ 9

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مِجنّةٍ … وهل يبدُوَنْ لى شامةٌ وطفيلُ

فقال له : حَنَنْتَ يا ابن السوداء ؟ و إذا كان أمثالهم الى الاوطان يحِنّون ، ويظهر على ألسِنَتهم ما يضمرون فى قلوبهم ويُجِنّون ، فكيف بى على ضعفى إذا مُنيتُ بالغربة 12 و شدّة الكربة وبلاء السجن و دوام الحزن :

---

1 جيد: عنق ‖ تنهده M تنهدها B ‖ فدتهن ... عقدا B ـ M ‖ 2 قد B ـ M ‖ 4 صاب السحاب : انصب وهطل ‖ 4 منعج : اسم مكان من نعج : سمن ‖ حرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنما احرقت بالنار ... وللعرب حِرار معروفة ذوات عدد : حرة النار لبنى سليم وهى تسمى ام صبار ، وحرة ليلى ، وحرة راجل ، وحرة النار لبنى عبسى (لسان العرب ج٥ ص٢٥٣) ‖ 4-5 احب . . . ترابها B ـ M ‖ 5 قوابل م. قابلة وهى المرأة التى تأخذ الطفل عند الولادة ‖ 7 ابرم : صار ضخما ‖ سلم م. سلمة وهى شجرة من العضاه يدبغ بها ‖ امشر الشجر : اكتسى خضرة ‖ 7و9 اذخر : حشيش طيب الريح من الثيل ... واحدتها اذخرة وهى ثمرة كأنها مكاسح القصب ... و يطحن فيدخل فى الطيب (لسان العرب ج٥ ص ٣٨٩) ‖ 8 الفؤاد يقر B القلوب تقر M ‖ 9 جليل : هو نبت ضعيف يحشى به خصاص البيوت واحدته جليلة ‖ 10 الشامة : الناقة السوداء ويقال : ماله شامة ولازهراء يعنى ماله ناقة سوداء ولا بيضاء ‖ الطفيل : الماء الراكد يبقى فى الحوض ‖ 11-13 فقال ... الحزن B ـ M ‖

فلو أنى و قلبى من حديدٍ لذابَ على صلابته الحديدُ

و لو أنّ الغرابَ اهتمّ همّى وفكّر فكرتى شابَ الغرابُ

3 و قد ازدحَمَت الهموم علىّ و لوَتْ أعناقَها التى ، و صارت الأحشاءُ لها مَقيلا فلايجد السُلوُّ إليها سبيلا ، و صرتُ أرى العدوَّ كأنّى صديقُه إذ حمَّلَتْنى نكباتُ الدهر مالا أُطيقه . فلو كان ذلك بالجبال تَصدَّعت ، أو بالصُمِّ الصلاب إذاً لتقطّعَتْ :

6 فلو أنّ مابى بالحصى فلَق الحصى و بالريح لم يُسمَع لهُنَّ هُبوبُ

أجل وهذا الفنُّ من العلم و إن كان أعلقَ بالطباع وأخفَّ على الأسماع فقد وَدَّعتُهُ و فارقتُهُ مُنذ قاربتُ البلوغَ و راهقتُه ، فأقبلتُ على طلب العلوم الدينية

9 و اشتغلتُ بسُلوك طريق الصوفية . وما أقبح بالصوفى أن يُعرضَ عن شيء ثُمّ يعودُ اليه ويُقبل بقلبه عليه . وغيرُ خافٍ أنّ مَن تَبَحّر فى العلوم واطّلع على سرّها المكتوم لم يُعاود أباجاد فى مساعدةِ قوم أوغادٍ . و معلومٌ عند العاقل أنّ الطبع يأبى على

12 الناقل ، فمن غالبَهُ صار مغلوباً ، و متى يكون المرغوبُ عنه مطلوبا ؟ وقد أعربَ البدوىُّ عن حاله فى هذه الابيات حيث التفتَ قَلبُهُ الى البداوة أشدَّ الالتفات ، وكانَ أهلُ الحضرِ و نازلـةُ المدَر يُشيرون <عليه> بتعلّم الكتابة وهو يحنُّ الى البدوِ

3 مقيل : موضع القيلولة . النوم او الاستراحة فى الظهيرة || 5 الصم م . صماء و هى الارض الغليظة || 11 عاود الرجل : رجع الى الامر الاول || أباجاد : ابجد وهى اول الالفاظ التى جمعت فيها حروف الهجاء فى اللغة العربية وهى ابجد خطى كلم سعفص قرشت الخ ... || اوغاد م . وغد : وهو الضعيف العقل و المقصود ان العالم لايضيع وقته فى تعليم الاغبياء مبادىء القراءة والكتابة || 12 الناقل : فا . نقل الشىء حوله من موضع الى موضع والمقصود هنا بالناقل من يريد ان يبدل سجية جبل عليها وان يغير عادة ألفها || 14 المدر : مص . الطين العلك الذى لايخالطه رمل . المدن والقرى لان بنيانها من المدر . الحضر ويقابلها البدو || 1-14 فلو أنى ... البدو M ـ B

شوقاً إليه حتّى راجع المألوفَ فى بَداوَته وقال فيما غَلبُهُ من غباوته :

أتيتُ مهاجرين فعلّمونى ثلاثــةَ أسطُرٍ مُتواليات
كتابَ اللّه فى رَقٍّ نقىّ وآيــاتٍ نزلن مُفصَّلاتٍ 3
و خطّوا لى أباجادٍ و قالوا تعلّم سعفصاً و قُريّشِيات
وما أنا و الكتابةَ و التهجّى وما حَظُّ البنين من البنات

وها أنا أعودُ الى ما هو الغرضُ المقصودُ ، وأُطالِعُ أهل العلم لازالَتْ مشاربُهُم 6
العِذابُ مشارِعَ الوُرّاد وأكنافهم الرِحابُ مراتعَ الرُوّاد بِجليّةِ أمرى وحقيقةِ حالى
و ما ابتلانى به التقديرُ ممّا لم يخطُر ببالى ، و أستعيرُهم أسماعَهم لأَقرعَها باشجانِ
قلبٍ دام ، وأُنشدُهم ما قالَه الطائى ابوتمّام : 9

أكابِرَنا عطفاً علينا فإنّنا بِنا ظَمَأٌ بَرحٌ وأنتم مناهِلُ

فرعى اللّهُ مَن ألقى سمعَه إلىّ لِأذاكرَه ببعض ما جنَتْ أيدى المقاديرِ علىّ ؛
فقد أنكر علىّ طائفةٌ من علماء العصر ، أحسنَ اللّهُ توفيقهم و سهّل الى خير الدارين 12
طريقهم و نزع الغِلَّ من صدورِهم و هَيّأ لهم رُشْداً فى امورهم ، كلماتٍ مَبثوثةً فى
رسالةٍ عَمِلتُها مُنذ عشرين سَنَة ، وكان مقصودى من إملائها شرحَ أحوالٍ يَدّعيها أهلُ
التصوّفِ و ظهُورُها موقوفٌ على ظهور طورٍ وراءَ طور العقــلِ و الفلاسفةُ لتلكَ 15
الاحوال <منكرون> لأنهم محبوسون فى مضيق العقل . و النبىُّ عندهم عبارةٌ
عن شخصٍ بلغ أقصى درجاتِ العقل . وليس ذلك من الايمان بالنُبوة فى شىء و إنّما
النُبوةُ أنواعُ كمالاتٍ تحصُلُ فى طورٍ وراءَ طور الولاية ، وطورُ الولايةِ وراء طور 18

3 الرق : جلد رقيق يكتب فيه ‖ 7 مشارع م. مشرع و مشرعة : مورد الشاربة ‖ 10 برح :
شديد ‖ 1-18 شوقاً ... طور B- M ‖

العقل. و نعنى بطور الولايةِ أنّ الولى يجوزُ أن يُكاشَفَ بمعانٍ لايُتصوّر للعاقل
الوصولُ اليهـا و العُثور ببضاعتِهِ عليها، كما أنَّ أبابكرٍ الصديق ـ رضوان‌الله عليه ـ
3 كوشِفَ فى‌مرض موته بأنّ امرأتَهُ تلد بنتاً حتى قال لعائشة: إنّما هُما أختاكِ، ولم
يكن إذ ذاك من الأخواتِ إلّا أسماءُ، فَعُلِم أنه كُوشِفَ بذلكَ. وكذلك قيل له فى
مرضتهِ هذه: ألا ندعو لك طبيبا؟ فقال: عندى طبيبُ الأطبّاء فقال أنا الفعّالُ لما
6 أريدُ، فَعُلم من هذا أنهُ كوشِفَ بموته. و من ذلك قولُ عُمر ـ رضوان‌الله عليه ـ
وهو يومئذٍ يخطُبُ على المنبرِ: يا ساريةُ، الجبلَ! و سارية أميرُ جُندِه بنهاوند. فإنّ
إحاطةَ علمِهِ بأحوالِ ساريةَ و قومِه وهو بالمدينة وهُمْ بنهاوند، و بُلوغَ صوته الى
9 ساريةَ، و معرفةَ أبى‌بكر بأنّ امرأتَهُ تَلِدُ بنتاً و بأنهُ يموتُ فى مَرَضِهِ، معانٍ
شريفةٌ و أمورٌ عاليةٌ لايُتصوّر الوصولُ الى أمثالهـا ببضاعَةِ العقل بل بنورٍ إلهى
وراء العقل. و من هذا القبيل أنّ بعض الصحابةِ دخل على عُثمان وكان قد نظر فى
12 طريقهِ الى امرأةٍ فقال له عثمانُ: ما بالُ أحدِكم يدخلُ عليَّ وفى عينيْهِ أثرُ الزنا؟
فقال‌له: أوَحْىٌ بعد رسول‌الله؟ فقال لا، ولكن تبصِرةٌ و برهانٌ و فراسةٌ صادقة. أما
سمعتَ رسول‌الله ـ صلى‌الله عليه‌و آله ـ يقول: إتّقوا فراسةَ المؤمن فإنّهُ يَنظُرُ بنورالله؟
15 وخَرَجَ عليٌّ ـ عليه‌السلام ـ من‌منزله صَبيحَةَ يومه الذى‌قُتِلَ فيه فجعل يُنشدُ ويكرّرُ:

أُشدُدْ حيازيمك للموتِ فإنّ الموتَ لاقيكَ

ولا تجزع من الموتِ إذا حلَّ بواديكَ

18 ولما قَدِمَ هرِمِ بن حيّان الكوفةَ لزيارةِ أُوَيس القرنى، وكان قد قصدهُ من

---

4 نهاوند: مدينة جبلية قرب همذان وعندها انتصر العرب بقيادة نعمان بن المقرن‌على‌الفرس بقيادة ذى الحاجبين مردانا ش سنة ٢١ هجرية ‖ 16 حيازيم م. حيزوم: وسط الصدر و شد الحيازيم للموت كناية عن‌التهيؤ و الاستعداد لاستقبال الموت ‖ 1-18 العقل ... من B- M ‖

مكّة ، لم يزل يطلبُهُ حتى ظَفِر به . فلما سلّمَ عليه ، قال له أُوَيس : و عليك السلام يا هرمُ بنُ حيّان ، فقال له هرم : من أين عرَفتَ اسمى و اسمَ أبى وما رأيتك قبل اليوم ولا رأيتنى ؟ فقال نبّأنى العليمُ الخبير ، عَرَفتْ روحى روحَك حين كلّمَتْ نفسى نفسَك، 3 إنّ الارواح لها أنفسٌ كأنفس الاجساد ، و إنّ المؤمنين لَيَعرِفُ بعضُهم بعضاً .

والمقصود أنّ هذهِ أمورٌ لا تُدرَكُ ببضاعة العقل . وقد أنكر علماءُ العصر علىّ ذلك فيما أنكروهُ ظنّاً منهم بأنّ من ادّعى طوراً وراءَ طورِ العقل فقد سدّ على الكافةِ 6 طريق الايمان بالنُبوة إذ العقلُ هوالذى دَلّ على صدق الأنبياء . و لستُ أدّعى أنّ الايمان بالنُبوة موقوفٌ على ظُهورِ طورٍ وراءَ طورالعقل بل أدّعى أنّ حقيقةَ النُبوة عبارةٌ عن طورٍ وراءَ طور الولاية ، وأنّ الولايةَ عبارةٌ عن طورٍ وراءَ طور العقل كما 9 سبقَت إشارتى اليه . وحقيقةُ الشيء غيرٌ و طريقُ الاعترافِ غيرٌ . ويجوز أنْ يَحصُلَ للعاقل من طريق العقل تصديقُ طورٍ لم يَبلغهُ فى نفسه بعدُ كما أنّ من حُرِمَ ذوقَ الشعر فقد يحصلُ له تصديقٌ بوجودِ شيء لصاحب ذوقٍ مع أنّهُ معترفٌ بأنّ لاخبَرَ 12 عنده من حقيقةِ ذلك الشيء .

على أنّ الكمالاتِ التى أنكروها علىّ كلّها موجودةٌ لفظاً و معنى فى كتبِ الإمام حجّة الاسلام ابى حامد الغزالى: وذلك كقولنا فى صانعِ العالم: أنه ينبوعُ الوجود 15 ومصدرُ الوجود ، وأنه هوالكُلُّ ، وأنهُ الوجود الحقيقى وأنّ ما سواهُ من حيثُ ذاته باطلٌ وهالكٌ وفانٍ و معدومٌ و إنّما كان موجوداً من حيث أنّ القدرة الازلية تُقوّم وجوده . و هذه الالفاظ مذكورةٌ فى مواضعَ كثيرةٍ من « إحياء علوم الدين» و فى 18 «مشكاة الانوار ومصفاة الاسرار»؛ وفى « المُنقِذ من الضلال و المُفصِح عن الاحوال» و كل

1-19 مكة ... و كل B لـ M ‖

ذلك من مُصنّفات الغزالى ــ رحمه الله ــ . وقولُنا مصدر الوجودِ وينبوعُ الوجود كقولِنا
خالقُ كلّ <شىء> فمن أوّلَهُ على غير ذلك فهو مخطىءٌ دُون القائل . و الكلامُ
3 المُجمَلُ إنّما يُرجَع فى بيانه الى المُجمِل لا الى خصمِه المُتعنّت ، والمرءُ مخبوءٌ تحت
لسانِه لاتحت ألسِنة خصمِه . ولستُ أُنكِرُ أنّ قولَنا ، مصدرُ الوجود وينبوعُ الوجود
كلماتٌ مجمَلةٌ مُحتمِلةٌ لِمَعانٍ بعضُها خطأٌ وبعضُها صواب و المُحقَّقُ أنّ الغزالى لم
6 يُرِد إلّا ذلك :

أتاك المُرجفون بِرَجم غيب ... على دَهَش فجئتُك باليَقين

و كيف وفى رسالتى ما لو تأمّلَهُ المُنصِفُ عَلِم أنّ الخصم مُتعنِّتٌ إذ الخصمُ إنْ
9 كان يفهَمُ من قولِنا مصدرُ الوجود و ينبوعُ الوجود تعريضاً بقِدَم العالَم فقد ذكرتُ
فى تلك الرسالةِ قريباً من عشرة أوراقٍ فى حدوث العالم و أقمتُ على ذلك البرهان
القاطع ، و إن كان يَفهَمُ منهُ تعريضاً بنفى علمه بالجُزئيات فقد برهنتُ على ذلك
12 بحيثُ لايَشُكُّ فيه عاقل .

وممّا أنكرُوه علىّ فصولاً ذكرتُ فيها حاجةَ المريدِ الى شيخٍ يسلُكُ به طريقَ
الحقِ و يهديه المَنهج القويمَ حَتى لايضل عن سواء السبيل كما صحّ عن رسولِ الله
15 ــ صلى الله عليه ــ أنهُ قال : من مات بغير إمامٍ مات ميتَةً جاهلية ؛ و كما قال ابويزيد
البسطامىّ : من لم يكن له أستاذٌ فإمامُهُ الشيطان ؛ وقال عمروبن سنان المنبجىُّ وهو
من كِبار المشايخ : مَنْ لم يتأدّب باستاذٍ فهو بطّالٌ . وقد أجمَعَ أربابُ الحقيقةِ من
18 أهل التصوفِ على أنّ من لاشيخَ له فلادين له . هذا هو مرادى فى تلكَ الفصول ،

1 الوجود B الجود فى حاشية ‖ 2 <شىء> ــ B ‖ دون القائل : لاالقائل. فالقائل مصيب و المؤول مخطىء ‖ 7 المرجفون : الذين يخوضون فى اشاعة الاخبار السيئة والفتن قصد ان يهيجوا الناس ‖ 10 <حدوث> حدث B ‖ 11 <فقد> و M ‖ 1-18 ذلك ... الفصول B ــ M ‖

و الخصمُ حَمَله على مذهب القائلين بالتعليم و فَهِمَ من ذلك ، القولَ بالإمام المعصوم .
وأنى يَستَتِبُّ لَهُ هذا التَعَنُّتُ و قد اشتَملَ الفصلُ الثانى من تلك الرسالة على إثبات
وجود البارئ ـ جلّ وعزّ ـ من طريق النظر العقلىّ و البرهان اليقينى . و معلومٌ أنّ 3
التعليمىَ يُنكِرُ النظر العقلى ويزعَمُ أنَّ طريقَ معرفةِ الله ـ تعالى ـ هو النبىُّ أو الإمام
المعصوم ، فكيف يستجيزُ الخصم أمثالَ ذلك و رسولِ الله ـ صلى الله عليه و آله وسلّم ـ
يَقول : يا معشرَ من آمَنَ بلسانِه و لمّا يدخُلِ الايمانُ قلبه ! لا تَغتابوا المسلمين ولا 6
تَتَّبعوا عَوراتِهم فإنّ من يَتَّبِعْ عورةَ أخيه يَتَّبِعِ اللهُ عورتَهُ و من يَتَّبِع الله عورتَهُ
يَفضَحْه ولو فى جوفِ بيته . ومِنْ أينَ يجوزُ للعلماء أنْ يقولوا مثل ذلك و ينتهجوا
فى حَق مُسلمٍ فضلاً عن عالِمٍ هذه المسالِكَ وقد قال سيدُ الانبياء محمد ـ صلى الله عليه 9
وسلّم ـ : مَنْ حَدّثَ بما رأت عيناه وسمِعت أُذُناه كتبهُ اللهُ من الذين يُحبّون أنْ
تَشيعَ الفاحشةِ فى الذين آمنوا ، لهم عذابٌ اليم .

ثم لم يَقتَصِروا على مُجرّد الإنكار حتى نسبونى بهذا السبب الى كلِ قبيحةٍ 12
وَحملُوا أرْبابَ المناصِب على أنْ فَضَحونى أشدَّ فضيحة :

اشاعوا لنا فى الحىّ أشنعَ قصةٍ وكانوا لنا سِلماً فصاروا لنا حَرْبا

وهذه سُنَّةٌ قديمة لله ـ تعالى ـ فى عباده إذ لم يزل الفاضلُ محسوداً و بأنواعِ 15
الأذايا من العوامّ والعُلماءِ مقصودا :

قد قيل أنّ الإله ذو ولدٍ و قيل أنّ النبىَّ قد كَهَنا
لم يَسْلم اللهُ من مُعانَدَةِ الخلـــــق و لا رُسلُه فكيف أنا ؟ 18

---

7 تبع واتبع العورة : تطلبها و بحث عنها ‖ 17 كهن لفلان : قضى له بالغيب وحدثه به ‖
1-18 والخصم ... أنا B- M ‖

وَهبْ أنّ أصحابَ الأغراضِ وجدوا فى ألفاظِها المُجمَلةِ مجالَ الاعتراض فماذا يقولون فى نصوصِها الصريحةِ التى لاتقبَلُ التأويلَ و قد حَضَرنى فيما أنا بصَدَدِه
3 الشعرُ الذى قيل :

هل تَطمسُون من السماء نجومَها	بأكُفِّكُمْ أمْ تَسْتُرون هلالَها
فدعوا الأُسودَ خَوادِراً فى غيلها	لا تولِغُنَّ دماءكم اشبالَها

6 وما لى أستبعدُ ذلك والقرآنُ يَنطِقُ بالحقّ ويقول: «لقد كان فى يوسفَ و إخوتِه آياتٌ للسائلين» . و غيرُ خافٍ أنّ الحسدَ دعا إخوةَ يوسفَ إلى قَتْلِهِ حيثُ رأَوْهُ أحبَّ إلى أبيهم منهم ، ونَسبوا أباهم يعقوبَ -عليه السلام- مع ذلك الى الضلالِ كما
9 حُكى عنهم فى القرآن : « إنّ أبانا لفى ضلالٍ مُبين » . و إذا كان أولادُ الأنبياء يجتَرِئون فى حَقِّ أخيهم و أبيهم بسبب الحسد على مِثل ذلك فلاعجب لو أقدمَ أمثالُنا فى حق الأجانب على أضعافه . وقال ابو طالب المكّى - رَحِمَه الله - : قد عَدَّدتُ
12 على إخوة يوسف من قولهم «لَيوسُفُ وأخوه أحَبُّ الى أبينا منا» الى قوله «وكانوا فيه من الزاهدين» نِيّفاً و أربعين خطيئةً بعضُها من الصغائر و بعضُها من الكبائر قد يجتمع فى الكلمة الواحدة خطيئتان و ثلاثٌ وأربعٌ استخرجتُها بدقيقِ النظرِ
15 فى خفايا الذُنوب .

والحسدُ من كبائر المُهلِكات ولاينجو منه أحَدٌ بِنَصٍّ رسولِ الله -صلى الله عليه- حيثُ يقول : ثلاثةٌ لاينجو منهُنّ أحدٌ : الظَنُّ والطيرةُ والحسدُ . وقد ورَدَ فى روايةٍ

5 خوادر م . خادر فا . خدر الاسد : لزم عرينه ‖ الغيل ، موضع الاسد ‖ اولغه ، سقاه ‖
7-6 سورة ١٢ (يوسف) آية ٧ م ‖ 9 سورة ١٢ (يوسف) آية ١٣ ك ‖ 17 الطيرة ما يتشاءم به
‖ 17-1 وهب ... رواية B- M ‖

أُخرى إمكانُ النجاة حيث قال ـ صلى‌الله عليه وسلّم ـ : ثلاثةٌ قَلَّ مَن يَنجو منهن . و قال ـ عليه‌السلام ـ : الحسدُ يأكل الحسناتِ كما تأكُل النارُ الحطب . و قال ـ عليه‌السلام ـ : سِتّةٌ يدخُلون النارَ قَبْلَ الحساب بِستٍ : السلاطينُ بالجورِ ، والعربُ 3
بالعصبيّةِ ، و الدهاقينُ بالكبر ، و أهلُ السوادِ بالجهل ، و التجّارُ بالخيانةِ ، و العلماءُ بالحسد . و قال ـ صلى‌الله عليه و آله ـ : كادَ الحسدُ يَغلب القَدَرَ و لذلك أَمَرَ اللهُ ـ تعالى ـ
محمداً بالاستعاذةِ منه فقال ـ جلّ مِنْ قائل ـ «قُل أعوذ بِربِّ الفَلَق» الى قوله «ومن 6
شَرِّ حاسدٍ إذا حَسَد» . وما عليَّ من الحاسدِ و غرضِه الفاسد و يكفيه ما ابْتُلِيَ به من هذه الرذيلةِ و مُعاداتِه لِأهل الفضيلة . و لِرَداءَةِ هذا الخُلق و ضلالِ من أفسدَهُ
قال الشاعر : 9

ألاقُلْ لِمَنْ بات لى حاسداً	أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فعلِه	بأنكَ لم ترضَ لِى ما وَهَب
فجازاكَ عنه بأن زادنى	و سَدَّ عليك طريقَ الطَلَب 12

ولاغروَ أن يحسُدُونى أوَ لا تَرَى قول الشاعر :

وليس بعارٍ أن يُسَبَّ مُسَوَّد	وَيُحسَدَ، والمحسودُ فى موضع القُطبِ

ولاذنب للمحسود وقد أتاهُ اللهُ فضله ولولا ذلك لما تَمَنّى الحاسدُ أنْ يكون 15
مِثلَه . ولا عَتْبَ على من حَسَدَ مرموقاً يُغادِرُ مَن سابقَه فى حلَبَاتِ العلمِ مسبُوقا وقد وَطِىء بقدمه قُمَمَ الكواكبِ حتى صارَ مَفخَراً لِلأباعِدِ و الأقارب . فما أبعدَ عن
الكمال من يُعادى الحُسّاد ! ولقد أحسَنَ من قال هذا البيت وأجاد : 18

4 دهاقين م . دهقان : رئيس اقليم ‖ 7-6 سورة ١١٣ (الفلق) آية ١و٥ ك ‖ 14 مسود فا .
سوده : جعله سيدا ‖ قطب : حديدة فى‌الطبق الاسفل من‌الرحى يدورعليها الطبق‌الاعلى . مدارالشىء .
سيدالقوم الذى يدور عليه‌امرهم ‖ 18-1 اخرى ... واجاد B- M ‖

أُعذُر حسودَكَ فيما قد خُصِصْتَ بِهِ

إنّ العُلى حَسَنٌ فى مثلها الحسدُ

3 هذا وقد نسبونى الى دَعوى النَبوّةِ أيضاً بسبب كلماتٍ من مُصطَلَحاتِ الصوفية كَلَفْظِ التلاشى والفناء :

لقد ضربونى فى هوى أُمّ جعفر بكُلِ عصاً حتى رُميتُ بِمغرَفَة

6 وما أبردَ التعصُّبَ إذا انتهى الى هذا الحدّ ! و ما أقبحَ الحسدَ ولاسيما بالعالِم إذا حَمله على أمثالِ ذلك ! ثُمّ لايستحيى أنْ يَنسُبَ مُسلِماً فضلاً عن عالِمٍ الى قبائح مُعتَقداتٍ يَستنكِفُ أنْ يعتقِدُها المجوسُ و النصارى الذين يُكذِّبون سيد الانبياء ،

9 لابل ولا يعتَقِدُها البراهمةُ الذين هم لأصلِ النبوّة منكرون ، و الزنادقةُ الذين يُنكرون المرسِل مع الرُسُل :

رمونى وإياها بشنعاءَ هُمْ بِها أحقُ ، أدال اللهُ منهم فعَجّلا

12 بأمرٍ تركناه و رَبِّ محمدٍ عياناً فإمّا عِفّةً و تجمُّلا

و أمثالُ هذه التمويهاتِ لاتخفى على مَنْ جالسَ العلماءَ و زاحَمَ برُكبَته الفضلاءَ حتى وقف على الفَرْقِ بين الباطِل و الحق ، و عرَفَ المذاهِب المُبتَدَعة

15 و الأباطيلَ المُختَرَعة و تحقَّقَ ما ادرجَ عليه السلف الصالحُ من سلوكِ الصراطِ المستقيم و ملازمةِ المنهَج القويم . وما أليَقَ ما قال الكوفى بهذه الحال فقد بَيَّن أنّ أهل الفضلِ لايضُرُّهم مايقول حسدَةُ الجهّال :

18 و إذا أتَتْكَ مذمّتى من ناقصٍ فهى الشهادةُ لى بأنى فاضل

و كأنه نظر الى الأوّلِ و بيتهِ الأغرِّ المُحجَّل :

---

11 اداللہ فلانا من عدوہ : جعل الكرة له على عدوه ‖ 15 السلف : فى حاشية المخطوطة . العمل M ‖ 1–18 اعذر ... فاضل B– M ‖ 13 الاول : مقصوده المتنبى ‖

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُوِيَتْ، أتاحَ لها لسانَ حسودِ

وغيرُ خافٍ على العلماء أنّ لِكُلِّ فريقٍ اصطلاحاً متّفقاً عليه فيما بينهم. ولا يعرفُ اصطلاحاتِ كلِّ فريقٍ إلّا من سلَكَ طريقَهم، فربّما لايعرِفُ النحويُّ 3 اصطلاحاتِ النّسّابين من الشعْب والقبيلةِ والبَطْنِ والفَخْذِ (بسكون الخاء) والعشيرة والعَمارةِ والتذييل وضربِ النساء. كما لايعرفُ النّسّابَةُ اصطلاحَ النُحاةِ من المُعَربِ والمَبْنى، والمُبْتَدأ والخبر، والجملةِ المُركّبةِ من الفعل والفاعل، والمَعرفةِ 6 والنكرةِ، واللازمِ والمتعدّى، والمُفردِ والمضاف، والمرخّمِ والمفعول له ومعه، والأسماءِ المُنصرِفةِ وغيرِ المُنْصَرِفة. وكذا التصريفىُّ لايعرفُ اصطلاحَ المتكلِّمِ من الجوهرِ والعَرَضِ، والتَحيُّزِ والجسم، والكون والحركة والسكون، والاجتماعِ 9 والكَسْب. كما لايعرف المتكلمُ اصطلاحَ أهل التصريف من ذواتِ الثلاثة وذواتِ الأربعة والأجْوَفِ والناقص واللفيف والزيادة والإبدال والإدغام، اللّهُمَّ إلّا إذا نَظَر فى العِلمينِ جميعاً فيكون عارفاً بالإصطلاحين. وكذلك الفقيهُ لايعرفُ 12 اصطلاح المحدِّثين من الضعيف والمتروك والغريب والعزيز والمشهور. ولا المحدِّثُ

---

4 النسابين م. نساب : العالم بالانساب والنسب علم تعرف به القرابات التى بين القبائل فتلحق فروعها باصولها ‖ الشعب : القبيلة العظيمة ‖ البطن من القوم دون القبيلة ‖ الفخذ : حى الرجل ‖ 5 العمارة : الحى العظيم. القبيلة ‖ 9 الكون : اسم لما حدث دفعة واحدة كانقلاب الماء هواء، فاذا كان حدوث الشىء على التدريج فهو الحركة ‖ الاجتماع : تقارب اجسام بعضها من بعض ‖ 10 الكسب : هو الفعل المفضى الى اجتناب نفع او دفع ضر ‖ 13 الضعيف من الحديث. ما كان ادنى مرتبة من الحسن وضعفه يكون تارة لضعف بعض الرواة من عدم العدالة او سوء الحفظ او تهمة فى العقيدة، وتارة بعلل اخرى مثل الارسال و الانقطاع و التدليس ‖ الغريب من الحديث : ما يكون اسناده متصلا الى رسول الله صلعم ـ ولكن برواية واحد اما من التابعين او من اتباع اتباع التابعين ‖ المشهور من الحديث : هو ما كان من الاحاد فى الاصل ثم اشتهر فصار ينقله قوم لايتصور تواطؤهم على الكذب فيكون كالمتواتر بعد القرن الاول ‖ 1-13 واذا ... المحدث B ـ M ‖

يَعرِفُ اصطلاح الفُقهاءِ من العَقْدِ و الشُفْعَة و الفرائضِ و الدورِ و الايلاءِ و الظِهارِ
و الكتابة . و كذلك المُحاسِبُ لايعرِفُ ما اصطلح عليه الأُصوليُّون من الفرعِ
3 و الأَصلِ و العِلّة و الحُكم ، و الواجب و المندوب و المكروه و المحظور و المباح ،
والمُوسَّعِ والمُضيَّقِ ، والمُعيَّن والمُخيَّر، والمُقيَّدِ والمُطْلَق ، والخاصِ والعام ، والناسِخِ
و المَنسوخِ ، و التقليد و الاجتهاد . كما لايعرِفُ الأُصوليُّ مُصطلحات الحُسّابِ من
6 الجمعِ والتفريق والجِذر والكعب و الأَصمّ و المفتوح والشيء والمال واموال الاموال
و كعاب الكِعاب . و العَروضيُّ لايعرِفُ مُرادَ المنطِقيّ بالمحمولِ و الموضوع ،
والسلب والايجاب ، والحمليّ والشرطيّ ، والضربِ والشكل . كما لايعرف المنطِقيُّ

---

1 الشفعة : هى تملك المجاور العقار المقصود بيعه جبراً بدفع الثمن الذى قام عليه العقد || الدور : هو توقف الشيء على ما يتوقف عليه ، ويسمى الدور المصرح كما يتوقف ا على ب وبالعكس ؛ أوبمراتب ويسمى الدور المضمر كما يتوقف ا على ب وب على ج وج على ا || الايلاء : هواليمين على ترك وطء المنكوحة مدة ، مثل : والله لا اجامعك اربعة اشهر || الظهار : مص . ظاهر الرجل اى قال لزوجته أنت على كظهر امى اى انت على حرام كأمه وبنته واخته || 2 الكتابة : اعتاق المملوك يدا حالا، ورقبة مالا حتى لايكون للمولى سبيل على اكسابه || الاصولى : العالم بالاصول والاصل هوما يثبت حكمه بنفسه ويبنى عليه غيره واصول الفقه هوالعلم بالقواعد العامة التى يتوصل بها الى الفقه || الفرع : خلاف الاصل وهواسم لشيء يبنى على غيره || 3 العلة فى الشريعة عبارة عما يجب الحكم به || الحكم : اسناد امر الى آخر ايجابا او سلباً والحكم الشرعى عبارة من حكم الله ـ تعالى ـ المتعلق بافعال المكلفين || المندوب عند الفقهاء : هو الفعل الذى يكون راجحاً على تركه فى نظر الشارع ويكون تركه جائزاً || 4 <المعين> المبهم B || 5 الحساب م . حسابى : و هو العالم بالحساب || 6 الاصم : هو العدد الذى لايقسم قسمة صحيحة الا على نفسه || الشيء : العدد المجهول المرموز اليه بحرف ما س مثلا || المال : هو تجذير المجهول س٢ || مال المال : هو تجذير المال س٤ || كعب : هو تكعيب المجهول س٣ كعب الكعب : هو تكعيب المجهول المكعب س٦ || 7 العروضى : العالم بالعروض والعروض ميزان الشعر || 8 الضرب : هو اقتران القضية الصغرى بالكبرى فى القياس الحملى و يسمى قرينة ايضا || الشكل : هو وضع الاوسط عند الحدين الاخرين اى الحد الاصغر والاكبر والاشكال اربعة || 1–8 يعرف ... المنطقى B ـ M ||

مرادَالعَروضيّ من السببِ و الوتدِ و الفاصلة و البحر و الضرب و الطويل و المديد و البسيط والمُتقارب .

والمقصود من تمهيد هذه القاعدةِ أنّ لِكُلِّ عِلمٍ رجالا عليه مَدارُهم ويجب الرجوعُ فى تَعرُّفِ اصطلاحاتِهم اليه ، فكذا الصوفيةُ لهم اصطلاحاتٌ فيما بينهم لايَعرِفُ معانيها غيرُهم . وأعنى بالصوفيّةِ أقواماً أقبَلوا بكُنْه الهمّةِ على الله واشتغلوا بسلوكِ طريقه . و أوّلُ طريقتِهم مجاهدةُ العدُوِّ و ملازمةُ الذِكرِ وهم المَوْعودون فى الكتاب الاعظم بهِداية السبيل كما قال ــتعالىــ : «والذين جاهَدوا فينا لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا» . فمن لم يعرِفْ من المجاهدة ، و هى أولُ طريقة الصوفيّةِ ، إلّا اسمَها فكيف يجوزُ أنْ يَتصرَّفَ فى اصطلاحاتهم التى لايعرِفُ معانيها إلّا المُنتهون ! ومَن لم يعرِف من الفقه إلّا الاسمَ كيف يجوزُ له أنْ يَتصرَّفَ فى ألفاظٍ لايعرِفُ معانيها الّا الأكابِرُ من الفقهاء ؟ !

و لم يكُن السالِكون لِطريقِ الله فى الاعصار السالِفَة و القرونِ الأُوَلِ يُعرَّفون باسم التصَوّف و إنّما الصوفيُّ لفظٌ اشتَهر فى القرن الثالث . و أولُ من سُمّيَ ببغداد

---

1 السببالخفيف هوحرفمتحرك بعدساكننحو : قم ومن، والثقيلهوحرفان متحركانمثل:لك وله ‖ الوتد : ثلاثة احرفثانيها وثالثها ساكن فانسكن وسطها كما فى«قول» فهوالوتد المفروق، وان تحرك وسطها وسكنآخرها كما «على» فهوالوتد المجموع ‖ الفاصلة الصغرى فىعلم العروض هىثلاثة احرفمتحركة يليها ساكننحو«ضربت» . والكبرى اربعة احرف متحركة يليها ساكننحو«ضربكم» والفاصلة منالسجع بمنزلة القافية منالشعر ‖ البحر : هوجنس الوزن؛ ومن البحور : الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل والمتقارب ‖ الضرب : هوالجزء الاخير منالمصراع الثانىويسمىعجز، وقافية عندالبعض كما فىالمطول وغيره ‖ الطويل : وهو بحر مختص بالعرب ‖ 7-8 سورة ٢٩ (العنكبوت)آية ٦٩ ك ‖ 1-11 مراد... الفقهاء B- M ‖ 12 الاعصار B الاعمار M ‖

بهذا الاسم عَبْدَكَ الصوفى و هو من كِبارِ المشايخ و قُدَمائهم و كان قَبْلَ بِشْرِ بنِ الحارثِ الحافى و السَرِىِّ بنِ المُفلِّسِ السقَطى .

3 و المجاهدةُ لفظٌ مُفْرد كالفقهِ و الطبِّ و النحو ، و كما لا يَعْرِفُ معانى هذه الألفاظِ إلّا من نظَر فى هذه العلومِ نظراً مُحيطا بِجُمَلها و تفاصيلها فكذلك المجاهدةُ عِلمٌ برَأسِها ولا يعرفُه إلّا من نظَر فيه نظراً شافيا . وعلى هذا العلم يشتمل

6 «إحياءُ علوم الدين» من أوّلِه الى آخِره . ولم يُصنَّف فى بِدْء الإسلام فى هذا العلم مثلُ «قوتِ القلوب» لابى طالب المكّى على ما أظُنُّ . ثم عِلمُ المجاهدةِ إذا حصَل للطالب لم يُغْنِ ذلك عنه شيئا دون أنْ يُجاهِد كما أنّ المريضَ و إنْ كان حاذِقاً

9 فى الطبّ لم يكفِه ذلك دون أنْ يَشْرَب الدواءَ الكريهَ المَذاق . ثم إذا حصَّل عِلمَ المجاهدةِ وجاهدَ فى الله حقَ جهادِه هداه اللهُ سبيلَه وعَلّمَه مالم يكن يَعلم كما قال تعالى : «إن تتَّقوا اللهَ يَجْعَل لكم فُرْقانا» ، قال ابنُ عباس : أىْ نوراً تُفرِقون به بين

12 الحقِ والباطل . و الى هذا المعنى يشير قولُهُ : «و إن تُطيعوه تهتَدوا» وقوله : «ولو أنّ أهلَ القُرى آمنوا واتّقوا لَفَتَحْنا عليهم بَرَكات من السماء» .

وهذه هى الحكمةُ المُشارُ اليها فى قوله تعالى : «يُؤتِى الحكمةَ من يَشاءُ

15 ومَنْ يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتِى خيراً كثيرا» و الحكمةُ لا تَحصُل من القال والقيل بل هى ميراثُ الصَمت كما قال ــ عليه السلام ــ : «إذا رأيتم الرجلَ صَموتاً وقوراً

5 المجاهدة علم برأسها : المجاهدة علم مستقل بنفسه ‖ 11 سورة ٨ (الانفال) آية ٢٩ م ‖ 12 سورة ٢٤ (النور) آية ٥٤ م ‖ 12-13 سورة ٧ (الاعراف) آية ٩ ‖ 14-15 سورة ٢ (البقرة) آية ٢٦٩ م ‖ 16-3 والمجاهدة . . . وقورا B- M ‖

فاقتَربوا منه فإنّه يُلقَّنُ الحكمةَ اويُلقَّى» على اختلاف الرِوايتين . «و رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله» كما يَشهَدُ له نصُّ الزَبور .

ولم يَخلُ فى الاسلام قرنٌ من القرون عن جماعةٍ كانوا يتكلّمون بهذه العلوم 3 فكان بعضُهم تتكلّمُ فى عِلم السلوكِ و بعضُهم فى عِلم الوُصول ؛ و بعضُهم كان يتكلّمُ على الناس عامّةً و بعضُهم على أصحابِه خاصة . وقال الجُنيدُ ـ رضى الله عنه ـ : صاحِبُنا فى هذا الامر المُشار ، الذى أشارَ الى ما تضمَّنَتْهُ القلوبُ و اَومَأَ الى حقائقه بعد نبينا 6 ـ صلى الله عليه و آله ـ ، علىُّ بنُ ابى طالب ـ عليه السلام ـ . و سُئِل الجنيدُ عن على بن ابى طالب ـ عليه السلام ـ ومعرفَتِه بعلم التصوُّف فقال : أميرُ المؤمنين علىٌّ ـ عليه السلام ـ لو تفرَّغَ الينا من الحروب لَنُقِلَ عنه الينا من هذا العلم ما يقوم له القلوب ، ذاك امرؤٌ 9 أُعطِيَ العلمَ اللدُنّى . وقال الجُنيدُ : لو علمتُ أنَّ لِلّه ـ تعالى ـ عِلماً تحت أديم السماء أشرفُ من هذا العلم الذى نتكلّمُ فيه مع اصحابِنا و اخواننا ، لسَعَيتُ اليه ولقصَدتُه» وكان الجنيد يُنشدُ كثيراً : 12

علمُ التصوّفِ علمٌ ليس يعرِفُهُ	إلّا اخو فِطنَةٍ بالفهمِ مَوصوفُ
وليس يعرفُه مَنْ ليس يَشهدُه	وكيف يَشهدُ ضوءَ الشمسِ مكفوفُ

و كان الجُنيدُ و أحمدُ بنُ وَهب الزيّات يتكلّمان فى علم الصوفيّةِ ، و الجُنيدُ 15 يستفيدُ منه و يقدِّمُه على نفسه ولم يتكلّم الجنيدُ على الناسِ فى الجامِع حتى مات أحمد . و كان يقول : فقَدْنا عُلومَ الحقائق بموت أحمد الزيّات» . و قال الجُنيد : «سألنى ابوبكر الكسائِيّ عن ألفِ مسألةٍ و دَدْتُ أنها لم تَقع فى أيدى الناس . 18 و ابوبكر هذا من كِبار المشايخ وهو الذى قال فيه الجُنيد : «لم يقطع الينا جسرَ

---

9 تفرغ الينا من الحروب : بذل مجهوده فينا ‖ 1-19 فاقتربوا ... جسر B- M ‖

النهروانمثلُ ابى بكرالكسائى ، وها أنا أذ كُرجماعةً ممّن تكلّمَ فىهذه العلوم ليُعلَم
أنّه لم يَخْلُ عصرٌ عنهم . فممّن تكلّم علىالناس عامّةً إمامُ الأئمة ابوسعيد الحسنُ بنُ
3 أبى الحسنِ البصرى وكان يُرمى فى عصره بمذهَب القدريّة ، وهو أجلُّ قدراً من أنْ
يُظَنَّ به ذلك . وما أصدقَ القائلُ :

ما ضَرَّ تَغلِبَ وائلٍ ، أهجَوْتَهَا أمْ بُلتَ حيثُ تَناطحَ البحرانِ!..

6 و قد صنَّف ابونُعيم الاصفهانى كتاباً و سمّاهُ «ذَبُّ القَدَر عن الحسنِ بنِ أبى
الحسن» و لَمّا رآه على بن ابىطالب ــعليهالسلامــ اُعجِبَ به وأثنى عليه و أذِنَ له
فى الكلام ومنَع جميعَ من كان يتكلّمُ على الناسِ بالبصرة و قال : هذه بِدْعةٌ لم
9 نعهَدْها فى العصر الاول . وكان الحسنُ يُشبِه كلامَه بكلام الأنبياء و هَدْيَهُ بهدى
الصحابة . وكان أنسُ بنُ مالك إذا سُئِلَ عن شىء يقول : سلُوا مولانا الحسن . و كان
أكثرُ كلامِه فىآفاتِ الأعمال و وَساوِس الصدور وخَفايا الصفات و شهواتِ النفوس .
12 وقيلله: يا اباسعيد نراكَ تتكلّمُ بكلامٍ ليس يُسمَعُ منغيركَ فمِنْ أينَ أخذتَه ؟ قال:
مِنحُذيْفَة بنِ اليمان . وكان حُذيفَةُ يتكلّمُ بكلامٍ لايُسمَعُ منغيره منالصحابة فسُئِلَ
عن ذالك فقال : كانالناس يسألون عَنِّى رسولَ الله ــصلىالله عليهــ عنالخير ويقولون:
15 يارسول الله ما لِمَنْ عمل كذا و كذا ؟ و كنتُ أسألُه عن الشرّ وأقول : ما يُفسِدُ كذا
و كذا ؟ فلمّا رآنى رسولُالله ــصلىالله عليه وآلهــ أسألُ عن آفاتِ الاعمال خصَّنى
بهذا العِلم . وكان يُسمَّى صاحبُ السرّ ، وقد اُفرِدَ من بين الصحابة بعلم النِفاق وهو
18 فيما قالَه عُلماؤُنا سبعونَ باباً لايعرِفُ دقائقَها و غوامضَها إلّاالمخصوصون به من

---

1 النهروانُ : ناحية فىالعراق بينبغداد و واسط ‖ 15 مالمن عمل كذا و كذا : ماهىحالة من فعل كذا و كذا ‖ 1-18 النهروان ... من B– M ‖

السالكين الراسخين في العلم. وكان عُمر و عثمانُ و أكابرُ الصحابةِ يسألونه عن الفِتَن العامّةِ و الخاصّةُ فيخبرُهم بها.

ومن قُدَماءِ الوُعّاظِ الذين يتكلّمون على الناس: ابوالسوّار حسّانُ بنُ حُرَيْثُ 3 العَدَوِيّ، و طَلْق بنُ حبيب وهو الذى قال فيه السختيانيُّ: ما رأيتُ أعبدَ من طلقٍ. ومنهم فَرقَدُ السَنجيُّ وهو الذى اعترض على الحسن في كلامه حين سَمِعَهُ منه فقال: ما هكذا يقول فقهاؤُنا. فقال له الحسن: ثكلتْكَ أمُّك فُرَيْقِد! وهل رأيت بعينيك 6 قطُّ فقيها؟ الفقيه من فَقه عن الله أمره ونهيَه. ومنهم ابوعاصم المذكِّر وهو من قدماءِ مشايخ الشام، و صالح المُرّيّ الذى حضَر مجلسَه سُفينُ الثوْريُّ فأعجبه كلامُه وقال: هونذيرُ قومه. ومنهم عبدُالعزيزِ بنُ سلمان وهو الذى دعا لِمُقْعَدٍ في مجلسِه فانصرفَ 9 الى اهله ما شيا. و منهم الفضلُ بنُ عيسى الرَقاشى. و من مشاهير المشايخ ابوعلى الحسن المَسوحيّ كان يتكلّمُ فى مَسجدِ المدينة وكانَ الجُنيدُ يَحضُر مَجلِسَه ويأخذُ عنه إلّاأنّه كان لايتكلّمُ في علمِ الوصول بل في علم السلوك. و منهم ابوشُعَيْب 12 المُراديُّ واسمُه المقفّعُ، خُيّر فى بعضِ مُكاشفاتِه بين اشياءَ فاختارَ من جُمْلَتِها البلاءَ فذهبت عيناه ويداه و رجلاه.

ومن كبارِهم محمدُ بنُ ابراهيم المعروفُ بابى حمزة البغداديّ البزّاز وكانَ 15 له فى جميعِ عُلوم الصوفيّة لسانٌ وكان أحمدُ بنُ حنبل يسألُه عن اشياءَ ويقول: ما تقول فى كذا وكذا يا صوفيُّ؟ وهو أول من تكلّم ببغداد فى هذه العلوم و ظهَر له بِطَرَسُوسَ قبول عظيم، و أقبَل عليه الناسُ ثم سمِعوا منه فى حالةِ سُكرِه كلاماً 18 شهدوا عليه بالزندقةِ و مذهبِ الحلوليّة، و أخرجوه من طَرَسُوسَ و اُغيرَ على دوابّه

1–19 السالكين ... ينشد B– M ‖

و نُودِىَ عليها : هذه دَوابُّ الزنديق . ولمّا أُخرِجَ من البلدِ جعل يُنشِد :

لكَ من قلبِىَ المكانُ المَصونُ كُلُّ عَتبٍ علىَّ فيك يَهونُ

3 ومنهم العَلَمُ المشهورُ ابوالقاسمِ الجُنَيدُ بنُ محمد . ونَصرٌ بنُ رَجاء وهو من أقرانِ الجُنيد . و منهم ابو عبد الله البَلخىُّ ، و ابوالحُسين بنُ شمعون وكان يتكلّمُ على الناسِ فى مَسجدِ بغداد . و ابوالحُسين عَمرو بنُ عثمان المِصرى وله فى علم

6 التصوُّفِ مواعظُ كثيرة ، ومنهم موسى الاشجُّ وهو أوّلُ مَن تكلّمَ بالبصرة فى علوم التوكُّلِ والمَحبةِ والشوقِ . وكان طريقُ أهلِ البَصرةِ قبلَه التزهّدَ والاجتهادَ ولزومَ الكَسْبِ وملازمةَ الصمتِ حتى فتحَ اللهُ علوم المعارف على موسى الأشجّ .

9 ومن مشايخ البَصرةِ فَهرانُ الرَّفاء تكلّم على الناس ببغداد . و من كبارِهم ابوجعفر الصَّيْدَلانى وكان يتكلّمُ على الناس بمكة . و من مشاهيرهم ابوالحسن بنُ سالم وهو من أصحابِ سهلِ بنِ عبد الله التُستَرى و اليه يُنسَبُ أصحابُه و يقال لهم

12 السالميّة . ومنهم ابوعلى الأسوارىُّ ، وابوبكر بنُ عبد العزيز وهو من مشايخ مكة ، وابوسعيد القلانسىُّ النيسابورىُّ ، ويحيى بنُ مَعاذ واعظُ أهلِ زمانه وابوعثمان سعيد بنُ عثمان الواعظ الرازيّان، وابوالسرىّ منصور بنُ عمّار البوشَنجى، وابوبكرالشاشىُّ ،

15 و ابوسعيد الأعلم ، و ابوبكر الدبيلى ، و ابوالعباس احمدُ بنُ محمد الدينورىُّ وكان له فى هذه العلوم لسانٌ حَسنٌ ، و ابوعبيد الطوسىُّ ، و ابوعلى الثَقفىُّ و هو من كِبارِ العلماء بخراسان و اسمُه محمد بنُ عبد الوهابِ وهو القائل : لو أنّ رجلاً

18 جَمع العلومَ كلَّها وصحِب طوائفَ الناسِ لم يبلُغ مَبلَغَ الرجالِ الّا بالرياضة على يدى

1-18 ونودى ... يدى M ـB ||

شيخ . و من كِبارِهم عليٌّ الطيّانُ و يُمنىٌّ الفَسَويّانُ ، و بَلَدِيُّهُما ابواسحق ابراهيم. فهولاءِ كانوا يَتكلّمون على الناسِ عامةً .

ومنهم مَنْ لم يكن يتكلّمُ على الناسِ عامةً بل على أصحابه خاصة ، ومنهم : 3 عامِرُ بنُ عبدالله بنُ قيس ، وقد اثنى عليه إمامُ الائمةِ الحسنُ البصريُّ و مالِكُ بنُ دينار ، و هو من كِبار المُتنسّكين و المُتكلّمين في الحقائق . وابوالشعثاء جابرُ بنُ زَيد و هو الذى يقولُ فيه ابنُ عَبّاس : لو نَزل أهلُ البصرةِ عند فُتْيا جابرِبنِ زيدٍ 6 لَوَسِعَتْهُم . وابوعمران الجَوْنىُّ وكان كلامُه فى الحكمةِ ، وابو وائلة إِياسُ بنُ معوية وهو القائل : من لا يَعرِفُ عيبَه فهو أحمقٌ . و ابومُصاهر رياح القيسيُّ وكان كلامُه فى أعالى المقامات مِن المَحبةِ و الشوقِ و القُربِ . و الفَضِيلُ بنُ عياض ، وعلىُّ بنُ 9 المَدنىُّ ، واحمدُ بنُ وَهبِ الزيّات ، و عبدُ الله السائح ، وعلىُّ بن عيسى ، و ابوالحسنِ سَمنون بنُحمزة ، وابوسعيدِ القرشى ، وابوالحسنِ بنُحديق ، و زكريا بنُ محارِب ، و ابوالحسنِ و ابوعلىّ الورّاق ، و ابوعلى بنُ زيزا وهو من كِبارِ أصحاب الجُنيد ، 12 وابوالقاسم الدّقاق وكانا يتكلّمانِ فى علوم الخطَرات .

و ابومحمدِ المُرتعِشُ الخراسانىُّ و هو القائل : مَنْ لم يكن علىالله غَيوراً لم يكُن اللهُ عليه غيورا . وابوعلى السُلَمى ، وعلىٌّ الحمّال وهو القائل : ذهبَتْ حقائقُ 15 التصوُّفِ و بقيَتْ شرائطُها ، و جاءت طائفةٌ يطلُبون الراحةَ ويَتوَهّمونَ ذلك معرفةً ، فإنّا لِلّه و إنّا إليه راجعون ! و ابوهاشمِ الزاهد ، و ابراهيمُ بنُ فاتك وكان الجُنيد

---

1 فسوى : نسبة منفسا وهى مدينة فىفارس جنوبى شرقى شيراز || بلديهما : اى من بلديهما || 2 <كانوا> ـM B || 6 فتيا : فتوى || 7 وسعتهم الفتيا : احاطتبجميع مشاكلهم || 1-17 شيخ ... الجنيد ـB M ||

يُكرِمه ، و احمدُ بنُ عطاء الرُّوذباری ، و ابوالفيضِ ذوالنونِ المِصری ، وابوسليمانَ العَنسیُّ المعروفُ بالدارانی و اسمُه عبدُالرحمن بنُ أحمد و أخوه داود بنُ أحمد.
3 وسهلٌ بنُ عبدالله التُستَری ، وابوعبدِالله بنُ مالِك وله رسالةٌ معروفةٌ . وابوالأديانِ، و ابوالليثِ المَغرِبیُّ ، و ابوسعيد الفنونی و هو من كِبارِ صوفيَّةِ البصرة . و ابوحاتمٍ العطّارُ ، و جميلٌ بنُ الحسن العتكیُّ ، و ابوجعفر الوساوِسیُّ و اسمُهُ محمد بنُ
6 إسمعيل . و ابو بشرِ بنُ منصور ، و عثمانُ بنُ صخر العقيلی ، و ابوسعيدٍ العُصفُریُّ ، و سليمانُ الحفّارُ ، و ابو ثُوابةِ القُرشی ، و ابو يَعقوب الأَبلّی ، و عبدُاللّهِ بنُ عفّان ، و ابوعبدِالله البصری ، و محمدُ بنُ ابی عائشة ، و عمروبنُ عثمان المكّیِ ، وعبدُالعزيز
9 البحرانی ، وابوالحسن علیُّ بنُبابَوَيه ، وابوبكر الواسطیُّ ، والربيعُ بنُ عبدِالرحمن وهو القائل : إنَّ لِلّه عباداً هم فیالدنيا مُكتَئبون و الی الآخرة مُتَطَلِّعون ، قد نفَذ تْ أبصارُ قلوبِهم فی الملكوتِ فَرَأَ تْ فيها ما وجب من ثوابِ الله فازدادت بذلك جِدّاً
12 و اجتهادا عند معاينة أبصار قلوبهم؛ فَهمُ الذين لا راحةَ لَهُم فی الدنيا وهمالذين تقرُّ أعيُنُهم غداً .

و منهم ابوعبدِالله السِندیُّ وهو من أصحاب ابی يزيد ، و ابوبكر الزنجانی ،
15 و ابراهيمُ بنُ يحيی التبريزیّ ، و ابوالعباسِ السمّان ، و حاتمٌ الأصمُّ ، و ابويزيدِ البسطامی ، و ابو أحمدَ الغزّال النيسابوری ، و جعفرُ النسویُّ ، و ابوالحسين احمدُ بنُ محمدِ الخوارزمیّ ، وعبدالله بنُ محمد بنُ منازل ، وابونصرِ فتح التَدیِّ ، وابوبكر
18 الطمستانی ، و ابوالحسين بنُ هند القَسوی ، و ابواسحق ابراهيم الدّباغ ، والحسنُ بنُ حمويه ، و ابوبكر محمدُ بنُ الجوریُّ ، و ابوعبدِالله محمدُ بنُ ابراهيم الخُشوعی ،

12 عند معاينة ابصار قلوبهم : عند المعاينة ‖ 1-19 يكرمه ... الخشوعی ـB M ‖

و ابوعبدِ الله النجّارُ وابنُ بَطّةَ وهما من أصحابِ علی بنِ سهل ، و احمدُ بنُ شعيب ، و عُبيدُ الملقَّبُ بالمجنون . فهولاءِ كلُّهم كانوا يتكلّمون فی هذه العلومِ و كلُّهم انقرضوا قبلَ الثلثمائة ، وقيل منهم من كانوا بعدها . 3

وقد تكلّم جماعةٌ من النِساء ايضاً علىالرجالِ و النِساء : كرابعةِ العدويّة وكان الكبارُ و السلفُ يَسمَعون كلامَها كسُفين الثوری ، وقد سُلِّمَ لها ذلك و هی التی قالت لِسُفين : نِعْمَ الرجلُ أنت لولا أنّك تُحبُّ الدنيا . و خطَبها عبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ 6 مع عُلوِّ شأنِه فهجَرَتْهُ أياماً حتى شفَع له اليها أخواتُه . فلما دخَل عليها قالت له : يا شَهوانِیُّ اطلبْ شهوانيةً مثلَك . و منهُنّ شعوانةُ الابليّةُ كانت تتكلّمُ على العُبّاد . بلغ بها خشيةُ اللهِ مَبْلَغاً أعجزَها عن العِبادة ، ثم رأتْ رؤيا فَسُرِّیَ عنها و رجعَتْ 9 الى ما كانت عليه من العِبادة . ومنهُنَّ بحريّةُ بكَتْ حتى ذهب بصرُها . و عنيدةُ جدّةُ ابی‌الخير التينانیُّ الأقطَعُ كان لها خمسُ مائةَ تلميذٍ من الرجالِ و النساء . وعائشةُ النيسابوريّةُ امرأةُ احمدِ بنِ السریّ فكانت تتكلّمُ على النساء بنيسابور ، و تأدَّبَتْ 12 بابی عثمان . و منهُنَّ فاطمةُ بنتُ ابی بكر الكتّانی ماتَتْ بين يدیّ سمنون و هو يتكلّمُ فی المحبة وماتَ معها ثلاثةُ نفرٍ من الرجال .

ومن مشاهيرِ من‌صنَّف فی هذه العلومِ وقُدَمائهم : الحارثُ بنُ أسدِ المُحاسبی ، 15 و ابواسحق بنُ احمدِ الخواص ، و ابوالقاسمِ الجُنيدِ سيّدُ الطائفة و المشارُ اليه و المعوّلُ عليه ، و علیُّ بنُ ابراهيم الشقيقیّ ، و سختُ العسكریّ ، و ابو عبدِالله محمدُ بنُ علیّ الترمذی وهو القائل : ما صنَّفت صرفاً عن تدبيرٍ ولكن كنت اتسلّى 18 بمُصنَّفاتی اذا اشتدّ علیَّ الوقتُ .

---

3 منهم من] ـ B ‖ 1-19 وابوعبدالله ... الوقت B ـ M ‖

ومنهم ابوبكر محمدُ بنُ عمرِ الورّاق الترمذيّ ، وابوجعفرِ النيسابوريّ واسمُه
أحمدُ بنُ حمدان بن عليّ بنِ سنان وكان الجُنيدُ يكاتِبُه ، و احمدُ بنُ محمد
3 الفرخكي ، و ابوعبدالله محمدُ بنُ يوسفِ البنّاء الأصفهاني ، و ابوعبدالله محمدٌ بنُ
خفيف ، و ابونصرِ السرّاج الطوسي ، و ابوطالبِ المكّي وله في هذه العلوم كلامٌ لم
يُسبَق الى مثلِه فيما رأيتُ و على ما أظنّ ، و هذا حديثٌ يطول .

6 وأنا اُراجِعُ ما كنتُ بِصَدَدِه و أقول : كما انّ لكُلٍّ قومٍ من العلماء ألفاظاً
مصطلَحاً عليها ولا بُدَّ من الرجوعِ اليهم في مَعانيها ، فكذا إذا سُمِع من الصوفيّةِ
مُصطلحاتُهم ينبغي أنْ يُرْجَعَ اليهم في بيانِ حقائقها كلفظِ البَقاءِ والفناءِ والعَدمِ والتلاشي
9 والقَبْضِ و البَسْطِ و السُكرِ و الصَحوِ و الإثباتِ و المَحْو و الحُضورِ و الغَيبةِ والعِلمِ
والمَعرفةِ و الوَجدِ والكَشفِ والمَقام والحالِ والفِراق والوِصالِ والاسقاطِ و الاتصالِ
والجمع والتفرقةِ و الذوقِ والفهمِ والوصولِ والسلوكِ و الشوقِ و الأُنسِ والقُرب
12 والتجلّي والرؤيَةِ و المُشاهدةِ ، وكقولهم : بقِيَ فُلانٌ بِلا هُوَ وانسلخَ من جِلدَتِه .
و يَنبَغي للعاقِل المُنصِفِ إذا سَمِعَ هذه الالفاظَ أن يُراجِعَ في معانيها القائلَ ،
و يقولُ له : ما الذي عنَيْتَ بهذه الالفاظ ؟ والحكمُ على القائلِ ، قبلَ استفسارِه عن
15 المُرادِ بهذه الالفاظِ ، بالزَنْدقةِ و الإلحاد رَميٌ في عَماية . و كتَبَ بعض الصوفيّةِ
الى بعضِ الأئمّةِ أبياتاً يسأله فيها عن معاني ألفاظِ من مصطلحاتِهم ولم أرَ فيها ما
يَصلُحُ لهذه اللُمعَةِ إلّا هذا البيت :

18 و إذا قالَ قائلٌ هُوَ بِلا هُو و أنا لا أنا ، فماذا يُريدُ

والغرضُ من هذا كلّه أنّ الرِسالةَ التي عملتُها في حالِ الصِبي فاتخذَها الحاسِدون

1-19 ومنهم ... ان B– M || 19 الرسالة التي B رسالة M ||

من أعدائى ذريعةً توصّلوا بها الى ايذائى . و قد ذكرتُ فيها من ألفاظِ الصوفيّةِ طُرَفاً كقولى فيها : أشرقتْ سلطَنةُ الجلالَةِ الأزليَّة فبَقِيَ القلَمُ وفَنِيَ الكاتِبُ .
وكقولى : غشيتْنى الهوِّيَةُ القديمةُ فاستغرقتْ هُوِيَّتى الحادِثة . وكقولى : طارَ 3
الطائرُ الى عشِّه . وكقولى : لو ظهرَ ممّا جرى بينهما ذرةٌ لتلاشى العرشُ والكُرسىُّ
الى كلماتٍ أُخر من هذا الجنس . وقد شدَّدوا علىّ الإنكارَ فى تلك الكلماتِ وزعموا
أنّ ذلك كفرٌ و زندَقةٌ و دعوى النُبوَّة . 6

وأنا أذكر طُرَفاً من حِكاياتِ المشايخ و ألفاظِهم لِيُستدلَّ بها على أنَّ الصوفيَّةَ يُطلِقون هذه الألفاظَ فيما بينهم فإنّها عندهم مُتعارَفةٌ ولا يلزَم منها شيءٌ وكتُبُهم
بها مشحونة . فمن ذلك قولُ الواسطى : أنّ اللهَ - تعالى - أبرزَ من صُنعِه ما أبرزَ 9
دلالةً على رُبوبيّته ، ثم أبطلَ ما أبدى فكُلُّ شيء هالِكٌ إلّاوجهَه ، و الخَلقُ فى
عظَمتِه كهَباءٍ لاخطَر له وليس للخَلقِ اليه طريقٌ إلّا من حيث جعَلَ لهم من طريقِ
العلم أنْ أثبَتوهُ كما عقَلوه . و هذا المعنى هو الذى أوردْتُهُ فى فَصلٍ من تلكَ 12
الرِسالة . وكتبتُ فيه : الحقُّ أنَّ اللهَ هو الكثير والكُلُّ و أنّ ما سواه هو الواحد
و الجزؤ ، و معناه أنّ كُلَّ الموجوداتِ بالنِسبةِ الى عظَمةِ ذاتِه كالجزئ بالنِسبة
الى الكُلِّ و كالواحد بالنِسبةِ الى الكثير إذ كلُّ الموجوداتِ قطرةٌ من بحر قُدرَتِه . 15

2 الجلالة الازلية B الجلال الازلى M ‖ 4 مما B ما M ‖ 2-4 يوجد المقطع التالى «اشرقت ... كرسى» فى زبدة الحقائق ص ٨٥ و ٨٦ طبع طهران ‖ 5 كلمات آخر B كلمة اخرى M ‖ 7 الفاظهم B الفاظهم فيما بينهم M ‖ 10 فكل M فقال كل B ‖ والخلق B فالخلق كلهم M ‖ 13 وكتبت فيه B قلت فيها M ‖ الله B الله تعالى M ‖ 13-14 ان... الجزؤ : راجع زبدة الحقائق ص ٢١ ‖ 15 بحر B بحار M ‖

و لَم أُرِدْ بذلك أن الله كثيرٌ بأجزائه ، تعالى اللهُ علواً كبيراً عن قَبولِ الانقسام .
ويَقرُب من ذلك قولهم : أنَّ جبريل والعرش والكُرسيَّ مع الملكوتِ كُلّها كَرْمَلَةٍ
3 فيما وراءَ الملكوت بل أقلُّ من ذلك . وليس المُرادُ من ذلك أنّ الله أكبرُ من العالَم
بكَثْرَةِ الأجزاء بل بِعَظَمةِ الذات . والمقصودُ منه الرَدُّ على الفلاسفة حيث قالوا :
أنّ اللهَ لم يَخلُق الّا شيئاً واحدا . وكيف يَستَقيمُ هذا الاعتراضُ وقد ذكرتُ فى
6 مواضِعَ كثيرةٍ من تلك الرسالة أنَّ القديمَ لايُتصوَّرُ فيه إثْنَيْنيَّةٌ البَتّة» . وكذلك
تَخيَّلوا فى بعض ألفاظها دعوى للرُؤْيَةِ الحقيقيّةِ التى طلَبَها موسى -عليه‌السلام-
فقيل‌له : لن ترانى ، وغَفَلوا عن‌النَصِّ الصريحِ الذى لا يَقبلُ تأويلا : أنّ الله لايُتصوَّرُ
9 أنْ يراه أحدٌ فى الدنيا لاولِيٌّ ولانبيٌّ غيرُ محمدٍ -صلى‌الله عليه وسلم- .

و ذكرتُ فى الروحِ كَلاماً مُطابِقاً لِكَلامِ المشايخ من حيث المعنى و إنْ
كانا لايتَّفِقان فى اللفظ . و قد كَثُرَ كلامُ الصوفيَّةِ فى الروح و من ذلك ما قال
12 الواسطىُّ : أظْهَر اللهُ الروحَ من جلالِه و جمالِه و لولا أنّه سُتِرَ لَسَجَد له كُلُّ كافر .
فمتى خَرجتْ أنوارُ العقول والفهوم ، تلاشَتْ فى أنوارِ الروح تلاشِيَ أنوارِ الكواكبِ
والقمرِ فى نورِ الشمس . و منها يُتَحقَّقُ أنهم لايَعْنون بالتلاشى عَدَمَ الشىء فى ذاتِه
15 بل اختفاؤه بالنِسبة الى مُدرِكه . وقال ابوسعيد الخَرّاز . إنّ اللهَ جَذَبَ أرواحَ أوْليائه
اليه و لذَّذَها بذِكْره . و هذا مطابقٌ لقولى فى تلك الرسالة : طارَ الطائرُ الى عُشِّه .
و قال ابوالطيّب السامِرىُّ : المعرِفةُ طلوعُ الحقِّ على الأسرار بمُواصَلةِ الأنوار .
18 و قال الواسطى : إذا ظَهر الحقُّ على السرائر لم يُبْقِ فيها فَضْلَةً لِرَجاءٍ و لاخوفٍ .

---

4 بعظمة M لعظمة B ‖ 6 القديم لايتصور فيه اثنينة : راجع زبدة الحقائق ص ٤٢ ـ٤٧ ‖
9 ان ... وسلم : راجع زبدة الحقائق ص٩٥ ‖ 6-18 وكذلك ... ولاخوف B- M ‖

و هذا هو مُرادى من قولى: غَشِيَتْهُ الهُوِيَّةُ الأَزَليةُ . وقال الجُنيدُ: نَفَسُ الصوفيِّ إذا هاجَ من الفؤادِ لم يأت على شىء إلّا و أحرَقَه حتى العرش، و احتراقُ العرشِ كتَلاشيه . و من غابَ عن نفسِه فقد اتّصَل بربّه و احترَق فى حقّهِ كلُّ ما سواه 3 كما حُكِىَ عن ابى سعيد الخرّاز فى حكايةٍ أنّه قال: تِهْتُ فى البادِيَةِ فهتَف بى هاتِفٌ وقال:

فلَوْ كُنْتَ من أهلِ الوجودِ حقيقةً 6

لَغِبْتَ عن الأكوانِ والعرشِ والكُرسى

و من اتّقى اللهَ فى خَلَواتِه أفضى به ذلك الى هذه الحال كما قال ابومحمد الحريرىُّ: بِصَفْوِ العُبوديةِ يُنالُ الحُرِّيّةُ و بالحرّيّةِ يُنال التجلى و الرُّؤيةُ . وليس 9 المرادُ بهـذه الرؤيةِ ما طلَبَ موسى من ربّهِ بل شىءٌ آخَرُ ظاهِرُ الحقيقةِ عند أهلِها . و الى هذا أشار الحريرىُّ ايضاً بقوله: من لم يحكُم فيما بيْنَه وبين الله بالتقوى والمُراقَبة لم يَصِلْ الى الكشفِ والمشاهدة . وقال ابوبكر التَفليسى: التصوُّفُ حالٌ 12 لايقومُ له قلبٌ ولا عقل . وقال ابوالحسن شيخُ سمنون: التصوُّفُ لاحالٌ ولا زمانٌ بل إشارةٌ مُتْلِفةٌ ولوائحُ مُحرِقةٌ .

و قال الخُلدِىُّ: التصوُّفُ حالٌ تَظهَرُ فيها عينُ الرُبوبيَّة و تضمَحِلُّ فيها 15 عينُ العبودية ؛ و هذا هو مُرادى حيث أقولُ: فتلاشى العلمُ و العقلُ والقلبُ وبَقِىَ الكاتِبُ بلاهُو: و قال المُرتَعِش: التصوُّفُ حالٌ ظنَّ بها صاحبُها على الكونَيْن فذَهَب الى الحق و ذهبَ عن ذهابه، فكان الحقُّ ـ عزّوجل ـ و لم يكن . و قال 18 ابوالحسن الأسرارىُّ: التصوُّفُ هو سَهْوِى عنّى و تيَقُّظِى بربّى . و قال ذو النونِ

1–14 وهذا ... محرقة B– M ||

المِصْرى : إنّ لِلّه عباداً يَنظُرون بأعْيُن القلوبِ الى محجوبِ الغُيوبِ، فَتَسيحُ
أرْواحهُم فى ملكوتِ السماء ثم تعودُ اليهم بأَطْيَبِ جَنىً من ثِمار السرورِ؛ وهذا هو
3 مُرادى من قولى : طارَ الطائرُ الى عُشِّه ثم رَجَع الى القفص. ومن ذلك أنّه تواجَد رجُلٌ
فى مجلسِ يحيى بنِ مُعاذ فقيل له : ما هذا ؟ فقال غابَتْ صفاتُ الإنسانية و ظَهَرتْ
أحكامُ الرَّبانيَّة . وسُئل ابوالفوارِس الكُرْدىّ عن التوحيد فقال : ما يُفتحُ منه عليكَ
6 لا بِك . وقالسليمانُ بنُ عبدِالله : كُلُّ نَفَس يكونُ فيه ذِكرُ الله فهومُتَّصِل بالعرش .
وقال ابوحامد الأصطخرىُّ : سألتُ ابا يعقوب الزابلىَّ عن التصوُّفِ فقال : هو أنْ
يضمَحِلَّ عنك عينُ الانسانيَّةِ و معالِمُ الأَيْنِيَّة . و قال حبشىٌّ بنُ داود : التصوُّف هو
9 إرادةُ الحق فى الخَلْق بلا خَلْق. و قال يحيى بنُ مُعاذ : من رأى مع الحبيبِ غيرَ
الحبيبِ لم يَرِ الحبيب.

وكثيرٌ من تلك الرسالةِ يَدورُ على هذه القواعد. وكُلُّ لَفظةٍ من هذه
12 الحكايات تحتاجُ الى تمهيد قواعدَ و تأسيسِ أُصولٍ من علم الصوفية حتى يُتحقَّقَ
معناها، ولستُ الان أشرَحُ ذلك فإنّه يَستدعى فراغَ القلبِ و خُلوَّ الهَمّ وأنا مشغولُ
الخاطرِ مُتحيّرٌ فيما ابتلانى به التقديرُ من الحَبْسِ والقَيدِ وسائرِ الأنكال:

15 صُبَّتْ علىَّ مصائبٌ لو أنها ... صُبَّتْ على الايامِ عُدْنَ لَياليا

ولم أُصنِّف تلك الرسالةَ إلّا متوقِّعاً لِحُسنِ الاسم فى الحيوة وترحُّمٍ يَلحقُنى ممن
يُطالِعُها بعد الممات . ولو خطَر ببالى أنّه يَعقُبنى ما رأيتُه وأراه لما أقدمتُ عليه قطّ :

18 غَرستُ غُروساً كنتُ أرجو لَقاحَها
و آملُ يوماً أنْ تطيبَ جَناتُها

18 لقاحها B وفى الحاشية : لحاقها ‖ 19 جناة : كلما يجنى ‖ 1-19 المصرى... جناتها B- M ‖

فإنْ أثمرتْ غيرَ الذى كُنتُ آملاً
فلا ذنبَ لى إنْ حنظَلَتْ نخَلاتُها

واذا لم يُجِب أحدٌ من العلماءِ و الصوفيّةِ عن تلك الكلماتِ لِعُذرٍ لَهم عندى 3
مقبولٌ، و لا يُمكنني ذكرَه فإنّه ذو عرضٍ و طولٍ، تناولتُ القلمَ و مُعوَلى عليه
وأجبتُ عن قول المعترِض معتذِراً بهذه الرِسالة اليه.

و من يَرجُ معروفَ البعيد فإنّما يدى عوّلَتْ فى النائبات على يدى 6

كيف و فى كلماتِ الصوفيّة أشياءٌ لو نَظر فيها الناظرُ من طريق التعنُّتِ
و الإنكار لوَجَد فيها مجالَ الاعتراض رحبا كما حُكِيَ عن معروف الكَرْخى أنّه
قال لرجلٍ: ادعُ اللهَ ـ تعالى ـ أنْ يَرُدَّ علىّ ذرةً من البشرِيّةِ، فإنّه شنيعُ الظاهر؛ 9
إذ يقولُ المُتعنِّتُ أنّه فضَّلَ نفسَه على محمدٍ المصطفى ـ صلى‌الله عليه وآله ـ فإنّه
قال: أنا بشرٌ أغضَبُ كما يَغضَبُ البشرُ و قد ادّعى معروفُ أنّه لم يبقَ فيه أثرُ
البشريّة. وهذا عند أهلِ التحقيق ظاهرٌ ولكن لايعرِفُه غيرُهم إذ كُلُّ عِلمٍ لايَعرِفُه 12
إلّا من يَخوضُ فيه ويُفنى عُمرَه فى البحث عن حَقائقه ومعانيه.

وعِلمُ الصوفيّة أشرفُ العلومِ و أغمضُها ولايعرِفُ جَلِيَّه و خفيَّهُ غيرُهم. وأنا
اورِد إشكالاً لايَنحَلُّ إلّا فى عِلمهم ليظهَر للمُدّعى أنّه لاخبرَ عِنده من عُلومِهم. فقد 15
صَحَّ عن رسولِ الله ـ صلى‌الله عليه وآله ـ أنّه أخبرَ غيرَ مرّةٍ عن نفسِه وعن غيره من
الصحابَة كأبى بكر و عمر و عثمان وعلى ـ رضى‌اللهُ عنهم ـ بأنّهم من أهل الجنة،
وقد ورَد فى الصِحاح أنّ رسولَالله ـ صلى‌الله عليه وآله ـ قال فى حديثٍ له طويل: 18
فأدخُلُ على ربّى فأخِرُّ له ساجداً و أشفعُ لِأُمّتى. وقد ورَد فى الصحيحين عنه ايضاً ـ

1-20 فان ... ايضا B ـ M ||

أنه قال و هو على المِنبر : والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لاأدرى أمِن أهلِ الجنة أنا أمْ
من أهلِ النار . و هذا إشكالٌ واقعٌ و جوابُه ظاهرٌ عند من سلك طريق الصوفيّةِ
3 ولا يعرِفُ الشطحِيّات . و قولُ ابى يزيد : أنّ اللهَ ـ تعالى ـ اطّلع على العالَم فقال : يا
ابايزيد كُلُّهم عبيدى غيرُك ، فاخرَجَنى منالعُبودَية . فمن الظاهِر أنّ المتعنِّتَ لو قال:
كان رسولُ اللهِ ـ صلىالله عليه وسلّم ـ يقول : أنا عبدٌ ، و ذُكِر عن الانبياءِ أنهم قالوا
6 و اجعلنى برحمتك من عبادك ، فكيف يَجوزُ لِغَيرِهم أن يقول : أخرِجْنى من
العُبودِيّة ؟! و هذا إنّما يُشكِلُ على من لم يَسلُك طريقَ الصوفِيّة ، و جوابُه عندهم
أظهرُ من الشمس . وأظهرُ منقولِ ابىيزيد قولُ الشِبْلى ، حيث سمع ما قاله ابويزيد
9 فقد كاشَفَنى الحقُّ بأقَلَّ من ذلك فقال : كُلُّ الخلائق عَبيدى غيرُك ، فإنّك أنا .
ومنذلك قولَ الشِبْلى لمّا قيل لَه : هل تعلمُ لنفسك فرحاً ؟ فقال : نعم ، إذا لم أجد لِلّه
ذاكِرا . فلو قال المُتعنِّتُ : هذا كفرٌ فإنّ الانبياءَ كُلَّهُم بُعِثوا لِدَعوةِ الخلق الى الله
12 و الى ذِكره وما كانوا يفرحون إلّا بإجابة دعوتِهم فكيف يجوزُ للشبلى أن يقول :
لاتَفرحُ نفسى إلّا إذا لم يَذكُرِاللهَ أحد ؟ وكذلك كان الشبلى فى دعائه يقول: اللهُمّ
أسكِنْ أعدائى جَنّةَ عَدْنٍ ولا تُخلِنى منك طَرفةَ عينٍ . فلوقال المُتعنِّتُ إذا كان
15 رسولُ اللهِ ـ صلىالله عليه وسلّم ـ يقول فى دعائه : اللهمَّ إنى أسألك الجَنةَ وأعوذُ بك
من النار ، فكيف يُسلِّمُ لغيره أن يقولَ ما قاله الشبلى ؟ وكذلك نُقِلَ عن غيرِ واحدٍ
من الكِبار أنّهم قالوا : من عَبَدَ اللهَ بِعَوضٍ فهو لئيم . وقال كُلَيب السِنجاوىُّ وهو من
18 أهلِ البلاء : لوكان أيّوبُ فى الحياة لصارعتُه . فلوقال المُتعنِّتُ : هذا القائلُ قد
عارَضَ الانبياءَ فى نُبوّتِهم وهو كفرٌ ، كان من حيث الظاهِر مُحِقا .

3-2 ظاهر ... الشطحيات : ظاهر حتى عند السالك المبتدىء I 19 <محقا> مخيلا B ‖
19-13 نفسى ... محقا B ـ M ‖

وأعجَبُ من هذا ما حُكِيَ عن شقيق البَلخى أنّه سأل بعضَ المشايخ عن صِفةِ العارفين فقال : الذين إذا أعطُوا شَكروا و إذا مُنِعوا صَبروا ، فقالَ لهُ شقيق : هذه صِفةُ الكلابِ عندنا ببَلخ ، قال له : فما صِفةُ العارفين ؟ فقال : إذا مُنِعوا شَكروا 3 و إذا أعطوا آثروا . فلوقال قائلٌ ، قد أثنى اللهُ في كتابه غيرَ مرةٍ على أهل الصَبرِ و الشُكر فكيف يجوزُ لشقيق أن يُسَوِّيهم بالكلاب ، كان له في القلوبِ تأثيرٌ عظيمٌ اللّهم الاعند مَنْ عَرَفَ مَذاهِبَ القوم و عاداتهم في المخاطبات . 6

وامّا دَخل الواسِطيُّ نيسابورَ قال لِأصحاب ابى عثمان : بماذا كان يَأمُرُكم شيخكُم ؟ فقالوا بالتِزامِ الطاعةِ و رُؤيَةِ التقصير فيها ، فقال : كان يَأمُرُكم بالمَجوسيّةِ المحضة هَلّا أمَرَكم بالغيبة عنها برُؤيَة مُنشِئها و مُجْرِيها . فلوقال مُعترِضٌ ، هذا 9 كفرٌ فإنّه ادّعى أنّ ملازمةَ الطاعاتِ مجوسيّةٌ محضةٌ وهذا خِلافُ ما قال اللهُ تعالى وقال رسوله ــ عليه السّلام ــ فإنّ القرآن من أوّله الى آخره ثناءٌ على الطاعة والمُطيعين ، لكان قوله من حيثُ النَظر الى ظاهر الأمر والاقتِصار عليه حقا . 12

واعلَم أنّ عِلمَ التصوُّفِ أقسامٌ كثيرةٌ و كُلُّ قسمٍ منها يَقومُ به قومٌ وقَلَّ من يُحيطُ عِلماً بتلك الأقسام . و مِنْ جُملَةِ تلك الاقسام قسمٌ يُسمّى علمَ السلوكِ وهو يَشتَمِلُ على مُجلّداتٍ كثيرة : و الى بعض تلك الأقسام يُشيرُ قولُ الشِبْلى حيثُ 15 يقول : كنتُ أكتُبُ الحديثَ والفِقهَ ثلاثين سنةً حتى أسفَر الصبحُ فجئتُ الى كلِّ من كتَبْتُ عنه فقلت : أريدُ فِقهَ الله ــ تعالى ــ ، فما كلّمنى أحد .

ومما أنكَرُوه عليَّ في تلك الرسالةِ أن الله ــ تعالى ــ مُنَزَّهٌ عن أنْ يُدرِكَه 18

17–1 واعجب ... احد ـB M ||

الأنبياءُ فضلاً عن غيرهم؛ و الإدراكُ أنْ يُحيطَ المُدرِكُ بكمال المُدرَك و هذا لايُتصوَّرُ إلّا لِلّٰه؛ فإذاً لايَعْرِفُ اللّٰهَ غيرُ اللّٰهِ كما قال الجُنيد. وقد جاء فى تفسير قوله
3 ـ تعالى ـ : «وما قدَروا اللّٰهَ حقَّ قدره» أىْ ما عَرفوه حقَّ معرفته. و قال رسولُ اللّٰه ـ صلى اللّٰه عليه ـ : لو عَرَفْتُم اللّٰهَ حقَّ معرِفَتِه لَزالَت بِدُعائكم الجبالُ ولَمشيتُم على البُحور، ولو خِفْتُمُ اللّٰهَ حقَّ خوفه لَعَلِمتُم العِلمَ الذى ليس معه جهل، و ما بَلَغ ذلك
6 أحدٌ، قيل: ولا أنت يا رسولَ اللّٰه؟ قال: ولا أنا، اللّٰهُ أعظمُ مِن أنْ يَبْلُغَ أمرَه أحدٌ.
و قال الصِّدّيقُ ـ رضى عنه ـ : سُبحانَ من لم يَجْعَل للخلقِ سبيلاً الى معرفتِه الّا بالعَجز عن مَعرفته. و قال أحمدُ بنُ عَطاء: لاسبيلَ الى مَعرفَةِ اللّٰه لِأحدٍ و ذلك
9 لامتِناع صَمدِيَّته و تحقيقِ رُبوبِيَّتِه. وقيل لأبى الحسين النُورى: كيف لايُدرِكُه العقولُ ولا يُعرَفُ الّا بالعقول؟ فقال كيف يُدرِكُ ذومَدى مَنْ لامدىً له؟ وقيل لأبى العباس الدَّيْنورى: بِمَ عَرفتَ اللّٰهَ؟ قال: بأنّى لا أعرِفُه. وقال ذوالنون: ما عَرَف اللّٰهَ
12 من عرَفَهُ ولا وَجدَه مَنِ اكْتَنَهه، ولاحقيقَتَهُ أصابَ من مَثّلَه، و إنّما أشْكلَ ذلك على مَنْ أشكَلَ مِنْ حيثُ ظنَّ أنَّ العِلمَ بوجودِ اللّٰهِ و بوجودِ صفاتـه، من العِلم و القُدرَةِ والحيوةِ و الإرادةِ والكَلامِ والسَمعِ والبَصر، هو مَعرِفةُ اللّٰه و إدراكُ حقيقَتِه وليس
15 كذلك؛ قال: الصوفيَّةُ يُفرِّقون فَرْقاً عظيماً بين العِلم باللّٰه و بين مَعرفةِ اللّٰه. و العِلمُ بوجودِ القديمِ قريبٌ واليه يُشير قولُه تعالى: «أفى اللّٰهِ شكٌّ».

فأمّا إدراكُ حقيقةِ الذاتِ والمَعرفةُ الحقيقيَّةُ فليس ذلك الّا لِلّٰه، و إليه تشيرُ
18 الكلماتُ الوارِدَةُ فى ذلك كما ذكرتُه آنفا. و ليس العِلمُ بوجودِ صانِعٍ قديمٍ لهذا العالَم مما يُشكِل على أهل الحقائق بل ذلك عندهم أظهَرُ من الشمس. و كيف

1-4 وهذا ... عليه M ـB || 3 سورة ٦(الانعام)آية ٩١ ك | 16 سورة ١٤ (ابراهيم)آية ١٠ك ||

يُتصوَّرُ مِن ذَوى الأبصارِ منازَعةٌ في وُجود الشمس ! نعم يَحتاجُ العُميانُ الى ذلك
حتى يَحصُل لهم بطريقِ السَمع ذلك . وكيف يُتصوَّرُ الشكُّ في وجودِ من هو
3 الموجودُ الحقُّ و به يَظهَرُ ما سِواه وعنه يوجَد ، ولولاه لم يكُنْ في الوجودِ موجودٌ
أصلاً والبتّة ؟! ولو تُصوِّرَ له عَدَمٌ ، تعالى اللهُ عن جوازِ العَدَمِ ، لَبَطَلَ وجودُ كلِّ
شيء . والعارِفون لايَنظُرون الى الله من الأشياء بل يَنظرُون في الله الى الأشياء كما
6 قال ابوبكر الصديق -رضي الله عنه- : ما نَظرتُ في شيء إلّا ورأيتُ اللهَ قبلَه . وليست
هذه الرؤيَةُ من الرؤيَةِ الحاصِلةِ في الآخرة في شيء ، بل الرؤيةُ لَفظٌ مُشترَكٌ
يُطلقُها الفقهاءُ و الصوفيّةُ لِمَعانٍ كثيرةٍ ولا يتعلّقُ غرضُنا بشَرحِ ذلك .
9 و للصوفية كلماتٌ يُسمّونَها شَطحاً و هو كلُّ عِبارةٍ غريبةٍ تصدُرُ عن قائلها
في حالةِ السُكر و شدَّةِ غليان الوَجد ، والإنسانُ في تلك الحال لايقدِرُ على إمساك
نفسِه كما قيل :

12 سقوني و قالوا : لاتُغَنِّ ، و لو سَقَوا
جبالَ شروري ما سُقيتُ ، لَغَنَّتِ

و ذلك كقولِ ابي يزيد : انسلختُ من نَفسي كما تَنسَلِخُ الحيّةُ من جِلدِها
15 فنظَرتُ فإذا أنا هو . و قولِه : اللهم زَيّنّي بِوَحدانيّتك و أَلبِسْني أنانِيّتَك و ارفَعْني
الى أحدِيّتِك حتى إذا رآني خَلقُك قالوا رَأَيناك فتكونَ أنت ذلك ولم أكُنْ أنا هناك .
و أمثالُ ذلك كثيرةٌ وقد وَرَد في كلامِهم ذلك منظوما ايضاً كما قال بعضُهم :

18 بَيْني وبَيْنَك أَنِّيي يُنازِعُني فارفع بِأَنِّك أَنِّيي من البَين

و الى مِثلِ ذلك يُشير قولُه - صلى الله عليه - : لايزالُ العبدُ يَتقرَّبُ اليَّ

16 ذلك B ذاك M ‖ 17 ايضاً ... بعضهم B- M ‖ 19 والى ... الى B- M ‖

بالنَّوافِل حَتّى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُه كنتُ سَمْعَه الذى يَسمَعُ به و بَصرَهُ الذى يُبصِرُ به
و لسانَه الذى يَنطِقُ به . والمغلوبُ فى هذه الحال إذا سُلِبَ عنه عقلُه و تلاشى فى
3 إشراقِ سُلطانِ أنوارِ الأزل لوقال : سُبْحانى ما أُعظمَ شانى ، وما يُشبِهُ ذلك كما
سَبَقَتِ الإشارَةُ اليه ، لم يُؤاخذ به لأنَّ كلامَ العُشّاقِ يُطوى ولا يُروى ؛ كما يُروى
أنَّ فاختة كان يُراوِدُها زَوجُها عن نفسها و هى تَمتنِعُ عنه فقال لها : إن أطعتِنى
6 و إلاقلبتُ مُلكَ سُليمانَ ظهراً لِبَطن ؛ فَبلَّغتِ الريحُ كلامَه الى سليمان فاستدعاه
وقال له فى ذلك ، فقال : يا نبىَّ الله كلامُ العُشاقِ لايُحكى ، فاستَحْسنَ ذلك سليمانُ
ـعليه السلامـ .

9 على أنَّ تلك الكلماتِ مبثوثةٌ فيما بينَ فصولٍ إنْ تُصفِّحْ ما قبلها وما بعدها
عُلِم أنه لامجالَ عليها لِلاعتراض ، ففى كلامِ اللهِ ـ تعالى ـ و كلامِ رسوله ألفاظٌ
مُتفرِّقةٌ ورَدَتْ فى صفاتِ اللهِ ـ عزوجل ـ ولو أنَّها جُمِعَتْ و ذُكِرَتْ دَفعةً واحدةً
12 كما فعلها أهلُ الضلال لكان لها من التَّلبيسِ و الايهام و الإلغاز تأثيرٌ عظيم ،
و إذا ذُكِرتْ كُلُّ كَلِمةٍ فى مَوضِعها اللائقِ بها ومع القَرائن المُقْترِنةِ بها لم تَمُجَّها
الاسماعُ ولم تَنبُ عنها الطباع . فقد وردَ فى حقِ الله ـ تعالى جدُّه ـ الفاظٌ مُجملَةٌ
15 غايةَ الاجمال ومُحتمِلةٌ للصواب والخطأ أظهرَ الاحتمال كالاستِواءِ والنُزول و الغَضبِ
و الرِضى و المَحبة والشوق والفَرح و الضحِك و الـكَراهيةِ والتردُّدِ و كَلَفظِ الصورةِ
والوَجه و العَينِ و اليَدِ والاصبَعِ والسَمعِ والبَصر و كقوله : «من ذا الذى يَقرِضُ اللهَ
18 قَرضاً حَسَناً» و كقوله : و هو الذى « يَقْبَلُ التوبَةَ عن عبادِهِ و يَأْخُذُ الصدَقات»

1 <احببته> احببت B ‖ 1-4 بالنوافل ... كما B ـ M ‖ 4 يروى B روى M ‖ 7 يحكى B يروى M ‖ 14 تعالى جده : تنزه جلاله ‖ 17 - 18 سورة ٢ (البقرة) آية ٢٤٥ م ‖ 18 سورة ٩ (التوبة) آية ١٠٤م ‖ 9-18 على ... الصدقات B ـ M ‖

وكقوله لموسى ـ صلى الله عليه ـ مَرِضْتُ فلم تَعُدْني ، وَجُعْتُ فلم تُطعِمني ؛ حتى اضطَربَ موسى و قام وقَعَد وقال : إلهى أوَ تَمرضُ و تجوع ؟ فقال : مَرِضَ عَبْدى فلانٌ وجاعَ عبدى فلانٌ ولو أطعَمتَ هذا وَعُدتَ ذاك لَوَجدتَنى عندهما . و هذا 3 مطابقٌ لما أوْحاه الى داود ـعليه السلام ـ حيث قال : يا ربُ أينَ أطلُبك ؟ فقال : عند المُنْكَسِرةِ قلوبُهم لأجلى . و هذا كقوله ـتعالى ـ فى الكتاب المُنزَل على نبينا محمد ـصلّى الله عليه ـ : «إنّ الله مع الذين اتّقَوا والذين هم مُحسِنون» و إنّ الله مع 6 الصادقين و الصابرين و «إنّ الله لَمَعَ المُحسنين» وهذه ألفاظٌ مُجمَلَةٌ وقَع بسببها خَلقٌ كثيرٌ فى الضلال وألحَدَ بها قومٌ و قالوا : لوكانت النُبوة حقاً لما وَصفَ رسولُ الله ـصلى الله عليه ـ صانعَ العالَم بأوصافٍ تدلُّ على الجِسمِيَّةِ فَلِأنّ الجِسمِيَّةَ تَدلُّ على 9 الحَدَث وهؤلاء إنما أُتوا من قِبَل عُلومِهم و خِفَّة بِضاعَتِهم فى علوم العربية كما قيل :

وَ كَم مِن عَائبٍ قولاً صحيحاً ... وآفَتُه ، من الفَهم السقيمِ

و الى هؤلاء يُشير القرآنُ حيث يقول : «بل كَذَّبوا بما لم يُحيطوا بعلمِه» 12 وعليهم يُنبِّه حيثُ يقول : «و إذا لم يَهتَدوا به فَسَيقولونَ هذا إفكٌ قديم» . والعلماءُ الراسِخون فى عِلمهم لايَخفى عليهم تأويلُ هذه الألفاظ بل هى أظهرُ من الشمسِ عندَهم و أكثرُ الخَلقِ تاهوا فيها وتَحيَّروا فى معانيها : 15

لا يَكشِفُ الغَمّاءَ الّاابنُ حُرَّةٍ ... يَرى غمراتِ الموتِ ثمّ يَزورُها

ولوكان الوصول الى معرفة تأويل هذه الألفاظ المُجمَلَةِ سهلاً لما خصّ رسولُ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حَبرَ الأُمةِ عبدَ اللهِ بنَ عباس فى دعائه بِقَوْلِه : اللّهم 18

6 سورة ١٦ (النحل) آية ١٢٨ م ‖ 7 سورة ٢٩ (الروم) آية ٦٩ ك ‖ 10 الحدث : الحادث ‖ 10-1 وكقوله... قيل B ـ M ‖ 12 سورة ١٠ (يونس) آية ٣٩ ك ‖ 13 سورة ٤٦ (الاحقاف) آية ١١ ك ‖

فقهُهُ فى الدينِ و علِمُهُ التأويل . وهى على صُعوبَتِها عند العموم يَسْهُلُ دَرْكُها على الخصوص كما قيل :

3 أنامُ مِلْءَ جُفونى عن شوارِدِها وَ يَسهَرُ الخلْقُ جَرّاها و يَختَصِمُ

ثم هذه الألفاظُ المُجمَلةُ المَبثوثةُ فى القرآنِ و الحديثِ لو جَمعَها مُلحِدٌ و استفتى إماماً وقال : ما تقولُ فيمن يدَّعى النُّبوةَ و يَزعَمُ أنّ اللّٰه يَجوعُ ويَمرضُ

6 و يَغضَبُ ويَفرحُ و يضحَكُ و يُحِبُ ويُبغض و يَستَقرِضُ من الخَلْقِ ويأْخُذُ الصَدَقة ويَنزِلُ من عُلوٍ إلى سُفلٍ و صورَتُه صورةُ الآدميّين وله وجهٌ وسمعٌ و بصرٌ و يدٌ و إصبعٌ ؟ فَرُبما غَفَل الإمامُ المُستَفْتَى عن مقصودِ هذا المُلحِد وأنه يُسِرُّ حَسْواً فى

9 الارتغاء ، فاطلقَ القولَ بأنّ من قال ذلك فلا خَبَر عنده من حَقيقَةِ الحقِّ وأنه مُبْطِلٌ فى دعواه . ولم يكن لقولِه هذا سببٌ إلّا أنّ المُلحِدَ جَمَع بين كلماتٍ كان من حَقِّها أن تكونَ مُتفرِّقةً وعرّاها عن قَرائنَ كان الواجبُ أنْ لا تُذكَر تلك الكلماتِ إلا مع

12 تلك القرائن كيلا تكونَ موهِمَةً ؛ فإنّ من القرائن التى تَدفَعُ احتمالَ الخَطأ فى هذه الالفاظ قولُه تعالى «ليس كَمِثْلِهِ شيء» و قولُه «أَفَمَنْ يَخلُقُ كَمَنْ لا يَخلُق» و إذا كان لِمُجَرَّدِ الجَمع هذا التأثيرُ فما الظنُّ إذا بَدّل لفظاً مكان لفظٍ فَيتَبدَّلُ

15 النزولُ بالحركةِ والاستِواءُ بالاستِقْرارِ ، وَذَكَرَ الكفَّ والساعِدَ مكانَ اليدِ ، والأُذُنَ و الصِماخَ مكانَ السمعِ ، أو اللحمَ و العظمَ مكانَ الوجهِ ، أو البدنَ مكانَ النفس فإنّ لفظَ النُزولِ والاستِواء واليدِ والوجهِ و سائرِ الأَلفاظ المُجمَلةِ إذا ذُكِرَت على

18 ما وردَت فى القرآن و الحديث ، من غير تَغييرٍ ولا تَبديلٍ ولا جَمعٍ ولا تَفريقٍ

3 جراها اى من اجلها ‖ 13 سورة ٤٢ (الشورى) آية ١١ك ‖ سورة ١٦ (النحل) آية ١٧ ‖ 13-18 و قوله ... ولا تفريق B- M ‖

ولا زيادةٍ ولا نُقصانٍ ولاتجريدٍ عن الكلمات التى قبلَهَا و بعدَها ولاتعريةٍ عن القرائن التى اقترَنتْ بها ، زال عنها الإِيهامُ وضَعُف فيها الإِبهام .

وما أبعدَ عن التحصيل من لا يُدرِكُ الفرقَ بين جمعِ هذه الكلماتِ فى ورقةٍ واحدةٍ 3 وذِكرِها دفعةً واحدة ، وبين ذِكرِها فيما بين كلماتٍ لعلّها تزيد على ألفِ ألفِ كلمة !...

و مالِيَ أستَبعِدُ من علماء العصر إنكارَهم علىّ ولم يَزل أكابِرُ العلماءِ فى كُلِّ عصرٍ محسودين و بأنواع المِحَن مقصودين كمالِكٍ و أبى حنيفة و الشافعى و أحمد وسُفين 6 رضوانُ الله عليهم اجمعين. وكذلك كان مَشايخُ الصوفيّةِ كالجُنيدِ والشِبلى وأبى يزيد البَسطامى و ذى النون المِصرى و سهلِ بن عبدِ الله التُستَرى و ابى الحسن النورىّ و سَمنون المُحب . وقد صُنِّف فى مَحِن الاخيار[...] و لَذَكرتُ من ذلك طُرَفاً ولكنّ 9 الوقتَ لم يَحتمِل التطويلَ فأعرضتُ عن ذلك وتمثلتُ بما قيل :

تعرض البرقُ نَجديّاً فقلتُ له

يا ايُّها البرقُ إنّى عنك مشغولُ 12

ولاغَروَ ان أُحسَدَ وقد صنّفتُ وأنا يافِعٌ و لِأخلافِ العشرين فما فوقها راضِعٌ كُتُباً يَعجِزُ أبناءُ الخمسينَ و الستين عن تَفهُّمِها فضلاً عن تأليفِها وتصنيفها :

إنْ يَحسُدونى فإنّى غيرُ لائمِهم 15

قبلى من الناس أهلَ الفَضلِ قد حسدوا

ومن أرادَ أن يقِفَ على صِحّة ما ذكرتُ فى جميع ما أوْرَدتُ وأصدرتُ طَلَب مُصنَّفاتى ونَظَر فيها و تصفَّحَها تَصفُّحاً يَستوعِبُ به معانيها و يَستَوفيها كرسالتى 18

---

5 انكر عليه فعله : عابه و نهاه عنه ‖ 1–10 ولازيادة . . . قيل B ـ M ‖ 9 <الاخيار> الاختصار B ‖ 13 اخلاف مفردها خلف : الولد مطلقا ‖ 13–14 ولاغرو ... تصنيفها B ـ M ‖

الموسومة بـ«قِرى العاشى الى معرفة العوران و الأعاشى» و كـ«رسالتى العلائية»
و « المُفتَلَذ من التصريف» وهما من مُختصراتِ التصانيف و كالرسالةِ المُلقَّبةِ بـ«أمالى
3 الاشتياق فى ليالى الفراق» و كالكتاب المُسمَّى «مُنيةُ الحيسوب» وهو فى عِلْم الحساب
الهندى و كالرسالةِ التى سَمَّيتُها «غايةُ البَحثِ عن معنى البَعْث» و كالأُخرى المسمّاة
« صولةُ البازِل الأمون على ابن اللَّبُون» و كالكتاب الذى لقَّبتُهُ بـ«زُبدة الحقائق»
6 وهذا آخِر ماصَنَّفْتُهُ من الكُتب و كنتُ إذ ذاك من أبناء أربعٍ و عشرين سنة وفى
هذه السنة التى ابتلانى فيها التقديرُ بهذه الفِتنَةِ بلغتُ ثلاثاً وثلاثين وهى الاشدُّ الذى
ذكَرَها اللّهُ -عزوجلّ- فى قوله تعالى : «حتى إذا بَلَغ أَشُدَّه» و إنّما يَستَوى الرجُلُ
9 عند بلوغ الأربعين . ومن مُوَلَّدات خاطِرى ألفُ بيتٍ فى النسيب سَمَح بها الخاطِرُ فى
عشرةِ أيامٍ وهى مجموعةٌ فى صحيفةٍ تُعرَفُ بـ«نُزهَة العُشاق و نهزَةِ المشتاق» وهذه
الأُرجوزةُ منها :

12	و غادةٍ من سَلَفَىْ مَعَدِّ	تُعزَى الى خيرِأبٍ وَجدِّ
	يَكتنفُها جحاجحٌ كالأُسدِ	تغزو العِدى على جيادٍ جُردِ
	بكُلِّ صمصامٍ صقيلِ الحَدِّ	و ذابلٍ من الرِماح المُلْدِ
15	زارتْ وصَحبى هُجَّعٌ بنجدِ	فى خَفِراتٍ من غوالى سَعْدِ
	وَطئِنَ هاماتِ الرُبى والوَهْدِ	الى رحيبِ الباع وارى الزَنْدِ

1 قرى يقرى قرى البلاد : تتبعها وطاف فيها ‖ 2 المفتلذ فا. افتلذه المال : اخذ قسماً من ماله ‖ 5 بزل ناب البعير : طلع فهو بازل ‖ اللبون واللبن : محب اللبن ‖ 8 سورة ٤٦ (الاحقاف) آية ١٥ م ‖ 13 جحاجح ، مفردها. جحجح و جحجاج : و هو السيد المسارع الى المكارم ‖ 14 الرمح الذابلة هى الدقيقة ، والملد منها ، الطويلة الممتدة ‖ 16 الزند : مص. موصل الذراع فى الكف ؛ فلان وارى الزند اى ناجح مفلج ‖

يَلبَسْنَ ثوبَىْ كرَمٍ ومجدٍ   فبِتْنَ فى عيشٍ لذيذٍ رَغدِ
وبِتُّ جذلانَ وهندٌ عندى   ألثُمُها مُتَّشِحاً بالرَّنـدِ
و اجتَنى باللثم وردَ الخـدِّ 3

ولقد خُضتُ فى تصنيف كتابين مبسوطين كانت نِيَّتى أن يكون كُلٌّ منهما مُشتمِلاً على عشرة مُجلّدات أحدُهما فى عُلوم الادب و كنتُ قد وَسَمْتُهُ بـ «المَدْخل الى العربية و رياضة عُلومها الأدبيّة» والآخرُ فى «تفسيرحقايق القرآن»، ثم عاقَتْنى مُهمّاتُ 6 الدين و الإقبالُ على ما هو فرضٌ عينىّ عن اتمام الكتابين . و من تعرَّفَ حقيقة أحوالى مِمن لايَمنَعُه الجهلُ و الحسَدُ و قِلّةُ الإنصاف عَرَف مِصداقَ هذه الدعاوى التى أعجزُ فى هذه الحال ، مع ما أنا عليه من ضيق الصدر وتَشتُّتِ الأمر وتَشعُّبِ 9 الخاطِر و توزُّع الفكر ، عن إقامة بُرهانٍ عليها فليَصْرِف من أراد ذلك عنايتَهُ إليها :

سائلْ قُضاعَةَ : هل وفيتُ بذِمّةٍ   أم هل أضعتُ الامر حين وليتُ ؟
فَلَرُبَّ كبشِ كَتيبةٍ أُجررتُه   رُمحى ، و نارِ الحُروب صليتُ 12
ولربَّ أبطالٍ لقيتُ بمثلهم   فَسقيتُهم كأسَ الردى و سُقيتُ
وأخٍ يُجيبُ المُستضيفَ إذا دعا   والخيل يعثُر فى العجاجِ رُزيتُ
فلاَطْلُبنَّ المَجد غيرَ مُقصِّرٍ   إنْ متُّ مِتُّ وإنْ حَييتُ حييتُ 15

2 الرند : شجرة صغيرة طيبة الرائحة من فصيلة الغاريات ، وهنا كناية عن طيب المحبوبة ‖ 11 اضعت : M وضعت B ‖ 14 يعثر . . . رزيت B تعدى فى الفجاج رويت M ‖ 15 حييت B حيبت .

من تشبث باذيال المقبلين اقبل مراده و ابقل مراده < انقل : ظهر . المراد : العنق > . روى من ابن فارس ـ رحمه الله ـ قال فى المذاكره باسناد ذكره : قال الخليل بن احمد : المنطق منطقان، منطق صيانة ومنطق بذلة. فمن تكلم بكلام الصيانة فى وقت البذلة اتعب نفسه، ومن تكلم بكلام البذلة فى وقت الصيانة هجن نفسه. ولمحمود الوراق : توخ من الطرق اوسطها وحد عن الجانب المشتبه ، وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان اللفظ به . قال الاعمش :

ارى رجالا بدون الدين قد قنعوا   ولا اراهم رضوا فى العيش بالدين (التتمة ص٤٢)

و مما لابدَّ من ذِكْرِه في هذه اللُمعَةِ حقيقةُ مذهبِ السلف فإنّ الحاجة ماسةٌ اليه وأنا أذكُرُ ذلك في ثلاثة فصولٍ لِانّ اُصول الأيمان هو الايمانُ بالله و برسولِه
3 وباليومِ الآخر؛ وأنا أذكُرُ في كل أصلٍ فصلاً حامداً لِلّه ومُصلّياً على المصطفى محمدٍ وعلى سائرِ أنبيائهِ ، والله يَعصِمُ من الزّلل بمنّه وفضله .

الفصل الاول

6 في الايمان بالله وصفاته

إعلَمْ أنّ اللهَ ـ تعالى ـ موجودٌ لا يُتصوَّرُ عليه العَدَمُ ، و احدٌ لا يُتَصوَّرُ فيه التَجزّي فهو المَلِكُ الكريمُ الرَحمنُ الرَحيمُ ذوالجَلالِ و الإكرامِ والاسماءِ العظام.
9 قلوبُ الخَلق بِيَدِه ونواصي العالَمين اليه . لا يَشغُلُه شأنٌ عن شأن وقد خَضَع لِكِبْرِيائه كلُّ سُلطان . لا شَريكَ له في وَحدانيَّتِه و لا مِثْلَ له في فَرْدانيَّته و لاضِدَّ له في صَمَديّتِه ولا نِدَّ له في أحدَيتِه .لهُ المُلكُ والملكوتُ وتحتَ سُلطانِه العِزَّةُ والجبروت.
12 أولُ كُلِّ شيء و قبلَ كُلِّ شيء و هو الباقي بعدَ فناءِ كُلِّ شيء ، فهو الحميدُ المجيدُ و الفعّالُ لما يُريد. علا في دُنُوّه وَ دَنا في عُلُوّه وظَهر في بُطونِه وبَطَن في ظُهوره و احتَجَب عن الخلائق لِشِدَّة إشراقِ نورِه . وهو الجَبّارُ القَهّارُ والقَيّومُ
15 القادِرُ ، و الآخِرُ في أوّلِيتّه و الأوّلُ في آخِريَّتِه . أحاط بِكُلِّ شيء عِلماً وَ وَسعَ أهلَ السماءِ و الأرضِ رحمةً و عِلما . قد فاضَ في المُلْكِ و الملكوت خيرُه وعندَه مَفاتيحُ الغَيبِ لايعلَمُها غيرُه . وله النِعَمُ المُتظاهِرةُ والمِنحُ المتواتِرَةُ والفَضْلُ الجَزيلُ

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين
انشدني احمد بن شعيب الاردستاني :
من تجلى بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان
وجرى في العلوم جرى شكوز خلفته الجياد عند الرهان M ||
1-17 ومما ... الجزيل B ـ M ||

والصُنْعُ الجميلُ و العِزُّ الرَفيعُ والفِعال البَديعُ والصَفحُ الكَريمُ والاحسانُ القديمُ
والكرمُ الفاخِرُ والمُلْكُ الظاهِرُ و العِزُّ الباذِخ و السُلطانُ الشامِخ. خلَقَ الارضَ
والسماءَ وَصرَّفَ المقادير فيها كيف شاء، فَقَدَّرَها و رتَّبَها أحسَنَ تقديرٍ و ترتيب . 3
وكم له فى كُلِّ ذرَّةٍ من سِرٍّ عجيب! يُسيءُ اليه العبادُ وهو يَزْدادُ إحساناً اليهم،
و يتبغَّضون بالمعاصى ويأبى إلّا تَعَطُّفاً عليهم. لاتُحصى نِعَمُهُ ولاتُعَدُّ أياديه ولايُطاق
النَظَرُ الى كمالِ إشراقه ولاالى مباديه. كُلُّ شيء مُنقادٌ لِعظَمَتِه والأرضونَ والسمواتُ 6
فى قبضَتِهِ وقُدرَته. قديمٌ لاأوَّلَ لِقِدَمِه، باقٍ لاآخرَ لِبَقائه. دائمُ الوجودِ من غير
زوالٍ، كامِلُ الذات على كُلِّ حال. الموصوفُ بصفاتِ الكَمال المنعوتُ بِنُعوتِ
الجَلالِ والجَمال، ذو الأسماءِ الحُسنى و الصِفاتِ العُلى لايُماثِلُ الأجسامَ ولايَقْبَلُ 9
الإنقسام. أزَلِيُّ الذاتِ سَرمَدِيُّ الصِفات. كان قَبلَ أنْ خَلَق الأرضين و السمواتِ
وهو الآن على ماكان من أوْصافِه التامّات و نعوته الكامِلات. لايُشبِهُ الموجوداتِ
فى ذاته ولا فى صفاته بل الموجوداتُ كلُّها قَطرَةٌ من بحرِ قُدرَتِه وآيةٌ من آياته 12
لايعزُبُ عن علمه الأزلىّ مثقالُ ذرَّةٍ كالهباء، بل عِلمُه بما تَحتَ أرضه كعِلْمه بما
فوقَ السماء، والموجوداتُ كُلُّها فى سِعَةِ علمه كقَطْرةٍ فى بحارٍ و رَمْلَةٍ فى قِفار،
ولا تَخْرُجُ عن إرادَته نَظرَةٌ ولا عن مَشيئَته خَطرة. فما شاءَ كانَ وما لم يشأ لم يَكن 15
و كُلُّ حادثٍ من الكائناتِ يوجَدُ فى أجلِه المَعلوم كما أرادَه فى الأزل و عَلِمَه
فى القديم من غيرِ زيادةٍ و نُقصانٍ ولا تقدُّمٍ ولا تأخُّر. و هو السميع العليم الذى
لايَعزُبُ عن سمعِه مسموعٌ ولاعن بَصرِه مُبصَرٌ بل سواءٌ عندَه من جَهَرَ بالقول وأسرّه، 18
و ما أضمرَهُ القلبُ و أظهره. أسرارُ الضمائر عِندَه علانيةٌ و أفهامُ الخَلْقِ دونَ
إدراكِ كمالِ صفاته وانية. وهو المُتَكلِّمُ بالكلامِ القديم القائمُ بذاته المنزَّه عن

6 مباديه : ظهوره و تجلياته ‖ 1–20 والصنع ... المنزه عن B ـ M ‖

أنْ يُشبِه كلامَ المخلوقين . و جميعُ ما قاله من المُحْكَمِ المُتشابِه على ما قاله و كما أرادَه . أمْرُهُ و نَهْيُهُ حقٌّ و وعْدُه و وَعيدُهُ صِدْقٌ نؤمِنُ به ايمانَ تحقيقٍ و يقينٍ ، و نُصَدِّقُ به تَصديقاً لا يَتخالَجُنا فيــه ريب . جلَّ وجهُهُ و تعالى جَدُّه مِن حيٍ لا يُعارِضه موتٌ و باقٍ لايَلْحَقُه فناء . أظهَرَ الموجوداتِ بقدرَتِه اختراعاً و استَبدَّ بخَلقِها ايجاداً و إبداعا ، فسبحانَه سبحانَه ما أعظمَ شانَه و أظهرَ بُرهانَه و أوضَحَ سلطانَه و أجزَلَ إحسانه وأتَمَّ امتنانَه . لا تَهتدى القلوبُ لِوَصْفِ بهائه وعظمته ، ولايَطمَعُ طامِعٌ في الاحاطَةِ بكماله إلّا رَدَّتْهُ سُبُحاتُ حضرتِه . فما أرفَعَهُ فيجلالِه وأبهاهُ فى جمالِه وأعظَمَهُ في كبريائه و أظهرَهُ في إشراقِ ضِيائه وأثبَتَهُ في ربوبيّته وأدْوَمَه فى كَينونيّتِه وأعزّهُ في وَحدانيّته وأجلّهُ في صَمَدانيّته و أقدَمهُ في أوّليّته وأسبَقهُ فيأزليّتِه . هو الوارثُ لِأهل أرضِه وسمائه ، وهو الحيُّ حين لاحيَّ فيديمومَة مُلكه وبقائه . عَزَّ أن يَصِفَ كمالَ ذاتِه لِسانٌ أوْ يَفى بِكُنْه صفاتِه العُلى بيان .

الفصل الثانى
فى الايمان بالنبوة

إعلَم أنَّ اللهَ ــ جلَّ جلالُه ــ بعَثَ الأنبياء مُبشِّرينَ و مُنذِرين و أرسَلَ محمداً الى كافةِ الخَلْق ، العَرَبِ منهم والعَجَم والأسْوَدِ والأحْمَر ، و أيّدَهُ بالمُعجِزاتِ الظاهِرَةِ و الآيات الزاهِرة فنَسَخ بِشَرْعه من الشرائع ما شاء وقرَّر منها ما شاء ، وهو خاتَمُ الأنبياء و سيّدُ البشر :

هيهاتَ أنْ يَلِدَ الزمانُ نَظيرهُ إنَّ الزمانَ بِمثْلِه لَبَخيلُ

والنُبوَّةُ عبارَةٌ عن كمالاتٍ تَحصُل للأنبياءِ ولا يُتصوَّرُ الوصولُ اليها بِبضاعَةِ العُقول . وَ ليسَ للعَقل الّاأنْ يُصدِّقَ بذلك تَصديقاً يَستَفيدُه من طَريقِ النَظَرِ فى

18-1 ان يشبه ... لبخيل B ـ M || 20 وليس ... فى B ـ M ||

البراهينِ الواضحةِ و الدَلائلِ البَيِّنَة . فأمَّا أنْ يَصِلَ عاقِلٌ ببضاعَة عَقْلهِ الى تلك الكمالاتِ فَـكَلّا وحاشى . وطورُ النُبوّةِ وراءَ طورِ الوِلاية، ونهايةُ الأَوْلِياء هى بِدايَةُ الأَنبياء ، وطورُ الولاية وراءَ طورِ العقل و نِهاياتُ العُقَلاء بداياتُ الأَوْلياء . ومن ذَهَب مَذهَبَ الفَلاسِفةِ وظَنَّ أنّ النبىَّ عبارةٌ عن شَخْصٍ بَلَغ أقصى دَرجاتِ العقل وتصرَّفَ ببضاعة عقله فى الأَوامِرِ و النواهى و زعم أنها أَوْضاعٌ وَضَعها النَبِىُّ و سَوّاها على الحِكمةِ فقد انخلَعَ عن رَبْقَة الأَسلام وانخرط فى سِلك أهل الغباوة : بل لم ينطق عن الهوى و كان كلامه وحياً يوحى . والإمامُ الحقُّ بعدَ رسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلّم ــ ابو بكر ثُم عمرُ ثُم عثمانُ ثُم علىٌّ ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ عَلِمنا ذلك بالإجماع القاطِع الثابت بطريق التواتُرِ . وقد حَبَّرتُ فى عُنفُوان الصِبى قصيدةً ، أحلى من المُنَى فى الفؤاد وَ ألذُّ من وِصال الأَحِبَّةِ بعد طولِ البِعاد ، مَدحتُ بها رسولَ الله ــ صلى الله عليه ــ و الخلفاءَ الراشدين ــ رضى الله عنهم أجمعين ــ بل مدحتُ نفسى و شِعرى حين تَصدَّيتُ لذلك ، وهى تَشتمِلُ على سبعين بيتاً وهذه الأَبيات منها :

سَأُزجِى إليه يَعمَلاتٍ سَواهِماً طَلائِحَ أنضَاها التَوَقُّصُ والوَخْدُ

وأُكحِلُ أَجفَانَ الرَجَاءِ بِتُرْبَةٍ ثوى جِسْمُهُ فيهَا فأَجفَانُهُ رُمْدُ

وَإنْ لَمْ تُبلِّغنِى إليه رَكائبى فَلاسَرَّها عُشبٌ ولا ضَمَّها وِردُ

الفصل الثالث

فى الايمان بالآخرة

إعلَم أنّ القبر أَوّلُ مَنزِلٍ من مَنازِل الآخرة وقد وَرَد الاخبارُ بِسُؤالِ مُنكَرٍ

---

2 <حاشى> حاشا B ‖ 13 اليعمل واليعملة : الجمل والناقة المطبوعان على العمل ج. يعامل ويعملات ‖ السواهم : مفردها الساهمة وهى الظامرة من النوق ‖ الطلائح : مفردها الطالحة وهى الناقة الهزيلة او البعير المعيى ‖ التوقص : سار سيراً بين العنق والخبب او اشتد وطؤه فى المشى ‖ الوخد: اسم من وخد البعير اى اسرع وصار يرمى قوائمه كالنعام ‖ 1-18 البراهين ... منكر B ـ M ‖

و نَكيرٍ ولا نتَصرَّفُ في ذلك بِبضاعَةِ عقولِنا الضَعيفة . فأكثَرُ أحوالِ الآخِرةِ إنّما
يُدرَكُ بنورِالنُبوَّة ، وقليلٌ منها يُدرِكُه أفرادُ الأولياء وآحادُ الراسخين منالعلماء .
3 والقبرُ إمّا رَوْضَةٌ من رِياض الجنَّةِ او حُفرَةٌ من حُفَرِ النيران ، وعدَمُ رؤيتِنا للحُفرةِ
والروضَةِ و لِمنكَرٍو نكيرٍ لايَدُلُ على عَدَمِ رؤية الميّت ، إذ نحنُ في عالَمِ المُلكِ
والشهادَةِ والميّتُ فيعالَمِالملكوتِ والغيب . وقدقال النَبيُّ ـصلىالله عليه وآلهـ إنّما
6 هما مَلَكان فَظّانِ غليظانأزرقان يَبْحَثان الارض بأنيابهما ويطآن شُعورَهُما؛ أصواتُهما
كالرَعْدِ القاصفِ و أبصارُهُما كالبرق الخاطف ؛ و عند ذلك قال عُمر بنُ الخطاب :
يا رسولَالله ؛ أفيكونُ معي عقلي هذا ؟ فقال : نعم ؛ قال : اذاً أكفيها ، ثُم يُبعَثرمن
9 في القُبور و يُحصَّل ما في الصُدور و يُرَدُّ الأرْواحُ الى الأجساد ، والناسُ يَمشون
حُفاةً عُراةً و يُحشَرون على صَعيد القِيامة أشتاتا في يومٍ كان مقدارُه خمسين ألفَ
سنة . وليس للعقل إلّا التصديقُ بهذه الأمورِ المُمكنةِ ؛ فإمّا أنْ يُدرِك ذلك ببضاعته
12 فلا ، بل إذا أدرَكَ العقلُ صِدْقَ الأنبياء و أنه لايُتَصوَّرُ عليهم الكَذبُ كان مُضطراً
في تَصديقهم بجميع ما أخبروا عنه و من ذلك أحوالُ الآخِرة . وكُلُّ ذلك حقٌ
كالميزان وهو الذي يُعَرِّفُ العِبادَ مقادير أعمالهم الحسناتِ منها والسيئات . وكذا
15 الصِراطُ و هو جِسرٌ ممدودٌ على مَتْنِ جَهنّم كالسيف في حِدَّتِه و الشَعر في دِقَّتِه
والناسُ مُتفاوِتون عليه : فَمِنْ طائرٍ يطيرُ و مِنْ سائرٍ يَسير وحابٍ يحبو وَهاوٍ يُهوى
به الى النار في مكانٍ سحيق .
18 وكذا الجنَّةُ والنارُ وما فيها من أنواعِ الآلامِ وأشدُّها الخلودُ في النار مع

---

6 بحث في الارض : حفرها ومنه المثل : كالباحث عنحتفه بظلفه || <بانيابهما> بانيابها B || 15 متن الشيء : ما ظهر منه ؛ متن الارض : ما ارتفع منها ؛ متن الطريق : وسطها || 1-18 ونكير . . . مع B- M ||

الحِجاب ، و أقسامِ اللذات و أعلاها النظرُ الى رَبِّ العالمين . و جميعُ ما وَرَد في القرآن ونطقَتْ به الأخبار الصِحاحُ فهو حقٌ و صِدقٌ نؤمِنُ به ايماناً لاتتمارى فيه .

3 وكذا الحَوضُ الموردُ الذى مَنْ شَربَ منه شَربةً لم يَظمأ بعدَها أبداً ، أحلى من العَسلِ وأشدُّ بياضاً من اللبن . وكذلك الشفاعةُ فهى حقٌ يَشفَعُ الأنبياءُ ثم الأولياءُ ثم العُلماءُ ثم الشُهداءُ ثم عمومُ المؤمِنين ، ولِكُلِ مُؤمنٍ شَفاعةٌ كما قالَ رسولُ الله

6 ـصلى الله عليه ـ. هذا هو الاعتِقادُ الحقُّ الذى أجمَعَ عليه السَلَفُ الصالحونَ والأئمةُ المُنقرِضون ، ولنا فيهم أُسوَةٌ حَسَنةٌ و قُدوَةٌ مَرضِيَّة . و قد قلتُ فى جُمَل أصول الايمانِ أبياتاً وهى :

تَيقَّنتُ بالبرهانِ من طُرقِ العقلِ	وُجودَ قديمٍ لا كدعوى الى الجَهْلِ	9
سَميعٍ بَصيرٍ عالِمٍ مُتكَلِّمٍ	مُريدٍ قَديرٍ ذى حيوةٍ وذى فَضلِ	
يَقومُ به ما فى سمواته العُلى	وفى أرضِه السُفلى من الحَزن والسَهلِ	
و ليسَ لنا مِن خالِقٍ و مُصوِّرٍ	سوى الواحدِ القَيُّومِ فى العُلو والسُفلِ	12
ولاريب لى فى أنهُ مُهلِكُ الورى	و مُحييهُمُ فهو المُجدِّدُ و المُبلى	
و أنَّ رسولَ الله أفضلُ خَلقِه	و قولِىَ ذو فضل وما هو بالهَزْلِ	
وأنَّ الذى ادّى الينا محمدٌ	كما قاله حقٌ من الفَرع والأصلِ	15
و أنَّ الذى بعــدَ الممات جميعُه	على ما حَكاهُ المُصطفى خاتمُ الرُسْلِ	
فهذا اعتِقادى و اعتقادُ مشايخى	وأسلافِىَ الماضينَ، واللهِ، مِن قَبلى	
فَهَل بين شرقِ الأرضِ والغَربِ مُسلِمٌ	يُخالف فيه، من ذوى العقلِ والنَقلِ؟	18
و كم زَنَّ مَنْ فى بُردتى خُصماؤه	بِعَوراءَ مِنْ قَولٍ وشنعاءَ مِن فِعلِ	

15و16 الذي: اسم موصول بمعنى ما ‖ 19 زن بكذا : اتهمه به ‖ 1ـ19 الحجاب... فعل M ـB ‖

فمالى وَربِّ الراقصاتِ الى مِنىً سوى دعوةٍ أُدعو بها اللهَ مِنْ شُغلِ
إلهِىَ طَهِّر وجهَ أرضِك منهُمُ وَإنْ صحَّ ما قالوا فطهِّره من مِثْلى

3 والأَوْلى أنْ أقتَصِرعلى هذا القدرِ وأنْ لا أُطوِّلَ الكلامَ مع ما أنا فيه منضيق الصدر ، و أنا أشكو الى الله أقواماً أهدَروا حُقوقَ العِلْمِ و اعتمدَوا غير المَعروفِ من سَجايا أُولى الحِلم ، و سَعَوا بى الى السُلطانِ و اخترعوا عليَّ عظيمَ البُهتان ، و لم يَقُم
6 بِواجِبِ حَقّي علماءُ الفِرَقِ ولا ذوو المُرقَّعاتِ والخِرَق ، وأسلمونى للخصومِ أُصادِقُهُم و أُعاديهم ، فما أَجدَرَهم بأنْ يُنشَدَ قولُ الشاعرِ فيهم :

ما هذه القُربى التى لاتُتَّقَى ما هذه الرحمُ الذى لاتُرحَمُ

9 واللهُ يَعلَمُ أنى لم أزَل أُعينُهم علىمطالِبِهِم وأقومُ بمقاصِدِهم و تحصيل مآرِبِهِم، وأنصرُهُم باليَد واللسان وأُجازى مُسيأَهم بالإحسان ، وأجبُرُ كَسيرَهُم وأفكُّ أسيرَهم ، وأُصلِحُ فاسدَهُم و أدفَعُ عنهم حاسِدَهم ، و أُحِقِّقُ ظنُونَهُم وآمالهم و أُعَلِّمُ مما
12 علّمنىاللهُ جُهّالَهم ، وأملأُ أسماعَهم غَرائبَ الكَلِمِ وقلوبَهم لطائفَ الحِكم :

لا ذنبَ لى غيرَ ما سيَّرتُ من غُرَرٍ
شرقاً و غرباً وما أحكمتُ من عُقَدِ

15 فاللهُ حَسيبى و حَسيبُهم يومَ لايَنطِقون ولايُؤذَنُ لهم فَيعتَذِرون .

فالحمدُ لله رَبِّ العالمين على نِعَمِه المُتظاهِرَةِ ، و الصلاةُ على محمدٍ و عَرفه الطاهِرة وحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوكيل .

1–17 فالى ... الوكيل I.M.-B

فهرس مواضيع المقدمة

صفحة

فهرس مواضيع شكوى الغريب

صفحة

فهرس الاغلاط المطبعية

غلط	صحيح	صفحة	سطر
امخطوطة	مخطوطة	٢	١٤
لاهل	الاهل	٣	١
وادراك ... حيث ادراك	وادرك ... حيث ادرك	٧	١٣-١٤
فتوح	فتوحات	٨	١٥و١٧
صدق ذلك	صدق	٩	١٨
لشفاء	لشفاء الانسان من	١٥	٧
شروطي	شرطي	١٥	١٥
بترتب	يترتب	١٦	١٩
ىل	بل	٢١	١٢
فقال	فيقول	٣٦	١٨
فيما	فِي ما	١	٤
ممر	ممرّ	١	١٠
الرياحُ	الرياحَ	٢	٩
يُشفيننا	يَشفيننا	٢	١٠
امرؤ	امرأ	٣ حاشية رقم ٩	
غروبان	غربان	٤ حاشية رقم ٤	
جرار	حرار	٥ حاشية رقم ٤	
يعودُ	يعودَ	٦	٩
خطى	حطى	٦ حاشية رقم ١١	
علها	عليها	٧	٨
أنه	إنه	٩	١٥و١٦
»	»	٣١	١٠
فصولا	فصول	١٠	١٣
المَنهج	المِنهج	١٠	١٤
قلبه	قلوبهم	١١	٦
الفاحشةِ	الفاحشةُ	١١	٧

غلط	صحيح	صفحة	سطر
عدّدت	عددت	١٢	١١
حَسَد	حُسد	١٣	١٦
يعتقدُها	يعتقدَها	١٤	٨
ادرّج	ادرّج	١٤	١٥
بعضى	بعض	١٥ حاشية رقم ١٣	
الاحاد	الآحاد	»	»
عجز	عجزا	١٧ حاشية رقم ١	
تتكلم	يتكلم	١٩	٤
القائلُ	القائلَ	٢٠	٤
سلّوا	سلوا	٢٠	١٠
الفتن	الفتا	٢١	٢
الخاصه	الخاصة	»	»
التنانىّ الاقطع	التنانيِّ الاقطعِ	٢٥	١
الجنيدِ	الجنيدُ	٢٥	١٦
الهوّية	الهويّة	٢٧	٣
أن	إن	٢٧	٩
»	»	٣٢	٣
احتفاؤه	اختفاءه	٢٨	١٥
آخرٌ	آخرُ	٢٩	١٠
عِنى	عَني	٢٩	١٩
الاينية	الانيّة	٣٠	٨
اشياءٌ	اشياءُ	٣١	٧
بأقلِ	باقلَ	٣٢	٩
تصفح	تصفِح	٣٦	٩
الذّ	الذَّ	٤٥	١
يبحثان	<يبحشان>	٤٦	٦
فاما	فأما	٤٦	١١

انجزت مطبعة جامعة طهران طبع رسالة شكوى الغريب فى الخامس
من شهر اغسطس سنة ١٩٦٢



Publications de l'Université
de Téhéran
№ 695

AYNUL QODHAT ELHAMADHANI

(492/1098 _ 525/1131)

LA PLAINTE D'UN EXILÉ

Publié avec introduction



Par

AFIF OSSEIRAN

Téhéran
1962

PRESS UNIVERSITAIRE